

مكتبة المدني الإلكترونية

Almdni.Com

تم تحميل هذا الملف من

مكتبة المدني الإلكترونية الشاملة

آلاف الكتب والدروس والأمثلة والمحاضرات المقروءة والمسموعة والمرئية

www.filas.com/vb3

رياحين

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر
100130 - بيروت - لبنان
www.filas.com

قصة : آرثر كونان دويل
ترجمة وإعداد :
د. أحمد خالد توفيق

كلب آل باسكرفيل



كلب آل باسكرفيل

منذ قرون يتحدث الفلاحون همساً في (ديفون شاير) : عن الكلب الشيطاني الذي يحكم الغلاة وحده ، ويمزق آل (باسكرفيل) جيلاً بعد جيل .. منذ قرون والغلاة موضع محرم لا يجتازه ليلاً إلا قلب من فولاذ .. منذ قرون والأسطورة تتردد .. حتى جاء (شيرلوك هولمز) .. وعندها ..

24



العدد القادم
مدينة مثل أليس



المؤلف

للمرة الثانية نلتقى مع سير (آرثر كونان دويل) ..
لقد كان لنا لقاء ممتع مع أئبه فى (العالم المفقود) ،
لكننا لن نعرفه حقاً ما لم نقدم له إحدى القصص التى
يقوم ببطولتها (شيرلوك هولمز) ..

وللتذكرة نقول إن سير (آرثر كونان دويل)
طبيب .. وكان فى سنى دراسته منبهرًا بأستاذه العظيم
د. (جوزيف بل) الذى برهن على قوة ملاحظة مذهلة ..
فكان يعرف مهنة المريض ومرضه ومشاكله الأسرية
من نظرة واحدة ..

وكان (جوزيف بل) فارح الطول معقوف الأنف
يدخن الغليون ، وله عينا صقر .. وهذه هى الصفات
التي خلق منها (دويل) شخصية بطله (هولمز) ..
إن (هولمز) هو أقوى شخصية عرفها الأدب
البوليسى عموماً .. ومازال فى لندن من يقيمون الأندية

جداً لـ (هولمز) .. لأنك تجده أكثر في القصص القصيرة - وهي من الأعمال الشهيرة التي أغرت السينما بتقديمها مراراً .. ولسوف نجد فيها الكثير من الإثارة والفكر المنطقي ، وبعض الرعب ، وقليلاً جداً من الجوانب الإستاتية ..
أرجو أن تروى لكم كما راقت لآلاف القراء من قبل .

د/ أحمد خالد

★ ★ ★

تخليداً له ، ويزورون شارع (بيكر) لرؤية بيته المفترض ، وقد قرأت دراسة مرهقة تحاول إثبات أن (واطسون) - صديق (هولمز) - كان امرأة .. وأن عناوين القصص تكشف اسمها !

بدأ ظهور قصص (هولمز) عام ١٨٩١ وحقت نجاحاً ساحقاً .. ونذكر منها هنا : (العصابة الرقطاء) ، (منكرات هولمز) ، (علامة الأربعة) ، (عودة هولمز) ، (عقده الأخيرة) ، (قضية هولمز) ..

وقد فشلت كل محاولات (دويل) للخلاص من (هولمز) .. بل إنه قُتل في إحدى رواياته .. لكن اتهم عليه سيل من رسائل القراء أرغمه على أن يعيد إحياءه في رواية تالية ..

وهكذا نجد ممن يحبون (هولمز) كثيرين في اليابان .. وفي روسيا ينتظر الناس حلقاته التلفزيونية في شغف .. ولا يوجد من لا يعرف هذا المخبر العبقري الجالس أمام المدفأة يدخن الغليون ، ومعه راوى قصصه محدود الذكاء د . (واطسون) الذي يحاول أن يفكر مثله لكنه يعجز دائماً ..

الرواية التي بين يديك الآن من الروايات المحدودة

« هَذَا لَحَى قِصَّة كَلْب آل (بَاسْكَرْفِيل) كَمَا سَمِعْتَهَا
عَنْ أَجْدَادِي .. فَقَدْ كَانَ قَصْر (بَاسْكَرْفِيل) آل إِلَى
(هُوجُو) الشَّرِير .. الَّذِي اشْتَهَرَ أَمْرُ فَسَقِهِ وَفَجْوَهِهِ
فِي الْبِلَادِ .. وَأَحِبُّ هَذَا الشَّيْطَانَ ابْنَةَ مَزَارِعِ فَقِيرٍ ،
لَكِنَّ الْفَتَاةَ صَدَّتْهُ وَأَبَتْ أَنْ تَكُونَ لَهُ .. »

« وَفِي لَيْلَةٍ اغْتَمَّتِ الْفَتَى فِرْصَةَ غِيَابِ أَهْلِهَا ،
وَاخْتَطَفَهَا .. وَعَادَ بِهَا إِلَى قَصْرِ أَجْدَادِهِ ، حَيْثُ حَبَسَهَا
فِي الطَّابِقِ الْعُلْوِيِّ ، بَيْنَمَا رَاحَ وَرَفَاقُ السُّوءِ يَثْمَلُونَ
وَيَصْخَبُونَ .. »

« كَانَتْ الْبَائِسَةُ خَائِفَةً .. وَقَدْ حَاطَتْ الْفِرَارَ هَابِطَةً
عَلَى غُصُونِ النَّبَاتَاتِ خَارِجَ نَافِذَتِهَا .. وَرَاحَتْ تَرَكِّضُ
فِي الظَّلَامِ قَاصِدَةَ الْعُودَةِ لِنُؤْيِهَا .. »

« لَكِنْ (هُوجُو) شَعَرَ بِفِرَارِهَا فَتَارَ غَضَبًا ، وَنَزَلَ
لِيُخْبِرَ رِفَاقَهُ .. عِنْدَهَا اقْتَرَحَ سَكِيرٌ مِنْهُمْ أَنْ يَبْعَثُوا فِي
إِثْرِهَا بِكَلَابِ الصَّيْدِ .. وَرَافَقَتِ الْفِكْرَةَ لـ (هُوجُو) فَآتَى
بِمَنْدِيلٍ مِنْ مَنْدِيلِ الْفَتَاةِ ، وَقَرَّبَهُ مِنْ أَنْوْفِ الْكَلَابِ ..
فَانْطَلَقَتْ هَذِهِ كَالشَّيَاطِينِ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ تَبْحِثُ عَنْ
الْفَتَاةِ الْبَائِسَةِ .. »

« أَمَا (هُوجُو) فَانْطَلَقَ بِجَوَادِهِ وَرَاءَ الْكَلَابِ .. »

- ١ -

وَجْهَ صَدِيقِي (هُولْمَز) الْكَلَامَ إِلَى ضَيْفِهِ :

« قُلْ لِي كُلَّ مَا تَعْرِفُ عَنِ الْقَضِيَّةِ .. »

قَالَ د . (جِيمِسُ مَوْرْتِيمِر) وَهُوَ يَخْرُجُ وَرَقَّةَ
عَتِيقَةٍ مِنْ جِيْبِهِ :

« كَانَتْ هُنَاكَ صَدَاقَةٌ حَمِيمَةً بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَرْحُومِ

السَّيْرِ (تَشَارْلِسُ بَاسْكَرْفِيل) .. بِالإِضَافَةِ إِلَى كَوْنِي طَبِيبَهُ
الْخَاصِّ .. وَقَدْ كَانَ رَجُلًا عَقْلَانِيًّا لَا يَبَالِي بِالْخَرَافَاتِ ،
لَكِنْ هَذِهِ الْوَثِيقَةُ كَانَتْ تُثِيرُ اهْتِمَامَهُ إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ .. »
ثُمَّ نَظَرَ إِلَى (هُولْمَز) وَقَالَ :

« هَذِهِ الْوَثِيقَةُ تَتَحَدَّثُ عَنِ أُسْطُورَةٍ خَاصَّةٍ بِآلِ

(بَاسْكَرْفِيل) .. وَأَرْجُو أَنْ تَسْمَحَ لِي بِقِرَاءَتِهَا لِأَنَّهَا
تَتَعَلَّقُ بِمَا نَحْنُ فِيهِ .. »

أَعْمَضُ (هُولْمَز) عَيْنَيْهِ لِيَصْنَعَ الْإِنْتِصَاتِ ، وَاسْتَرَخَى

فِي مَقْعَدِهِ .. بَيْنَمَا رَاحَ صَوْتُ د . (مَوْرْتِيمِر) يَتَرَدَّدُ
حَاكِيًا قِصَّتَهُ الْغَرِيبَةَ :

« بعد قليل انطلق رفاقه السكارى يبحثون فى الفلاة المحيطة بالقصر عن الفتاة أو الكلاب أو (هوجو) ..
لم يجدوا سوى الجواد الأسود يركض دون فارس فى الفلاة وقد أصابه الجنون .. وواصل الرفاق طريقهم متوجسين خيفة .. كان عواء الكلاب يتعالى .. وأخيراً وجدوها تقف على حافة هاوية وهى تنظر لأسفل فى هلع .. »

« ودنوا من الحافة ونظروا لأسفل .. فرأوا الفتاة البائسة فى قاع الهاوية ، وقد سقط ضوء القمر عليها .. كانت جثة هامدة .. »

« لكن ما أثار رعبهم أكثر من سواه هو (هوجو باسكرفيل) .. كان ممدداً جوار الفتاة يقف فوق جثته كلب عملاق أسود كالليل .. وكان الكلب يطبق على عنق (هوجو) يفكين هاتلى الحجم ، ثم انتزع العنق مرة واحدة .. ورفع نحوهم عينين تتقدان ناراً ، وفكين يسيل الدم منهما .. »

« كان هذا كافياً كى يفرّ الفتيان راجعين إلى ديارهم .. وقد مات أحدهم رعباً ، بينما أصيب الباقون بانهيار عصبى بقية حياتهم .. »

« تلكم هى قصة الهول الذى عاش يلاحق أسرة (باسكرفيل) منذ ذلك الحين .. ولقد لقى أكثر من واحد من أفرادها حتفه بطريقة غامضة منكرة .. إن اللعنة تطاردنا جيلاً بعد جيل منذ فتح (هوجو) أبوابها .. »

« وأنصح الأجيال القادمة : لا تمشوا فى الفلاة ليلاً حين تخرج قوى الشر الخفية كى تمارس سلطاتها فى الظلام .. »

وانتهى د . (مورتيمر) من قراءة الوثيقة .. ثم قال لـ (هولمز) :

- « والآن دعنى أتل عليك هذا الجزء من صحيفة (ديفون شاير) التى صدرت فى ١٤ يونيو .. وهى تحكى عن وفاة سير (تشارلز باسكرفيل) .. »
لاحظت أمارات الاهتمام على (هولمز) .. فطفق د . (مورتيمر) يتلو :

- « صدمت مقاطعة (ديفون شاير) لهول أنباء وفاة سير (تشارلز باسكرفيل) مرشح مجلس العموم .. فقد كان الفقيد عائداً من جنوب إفريقيا ، حيث جمع ثروة من أعمال المناجم ، وأقام فى قصر أجداده

بالمقاطعة ، ولم يكن قد أعقب ولداً ، لهذا كرس حياته
لخدمة أرض أسلافه .. »

« عاش سير (تشارلز) فى قصره عزيباً ، يقوم
بخدمته اثنان هما (باريمور) وامرأته .. وقال الاثنان
إن سير (تشارلز) كان معتدل الصحة فى أواخر
أيامه .. ضيق الصدر واهن القلب ، وهذا ما أيده
طبيبه د. (مورتيمر) .. »

« وفى يوم الوفاة نهض سير (تشارلز) للقيام
بجولته الليلية المعتادة فى المعمر المؤدى للقصر
واتجه إلى الأشجار وهو يدخن سيجاراً كدأبه فى كل
ليلة .. »

« وفى منتصف الليل رأى (باريمور) الباب
الخارجى للحديقة مفتوحاً .. فأتار هذا قلقه ، وحمل
مصباحه ليتبين ما هنالك .. وكان أن وجد جثة سير
(تشارلز) عند نهاية المعمر خارج الحديقة .. »
« ويقول (باريمور) إن سير (تشارلز) كان
يمشى على مجمع قدميه فى بداية رحلته .. ثم تغيرت
خطواته بعد عبور البوابة فراح يمشى على أصابع
قدميه ، وقد أثارته هذه المقولة حيرة وأى حيرة .. »

« وصرح تلجر خيل من الفجر ، أنه كان ذاتياً من
مكان الحادث ، حين سمع صوت صراخ لم يدرك
مصدره .. »

« لم تكن ثمة آثار عنف على جثمان سير
(تشارلز) .. غير أن الوجه كان منقلصاً رعباً حتى
إن ملامحه تبدلت تماماً .. وكشف تشريح الجثة أن
سبب الوفاة كان نوبة قلبية عنيفة .. »

« والوريث الجديد للقصر هو اللوحيد .. وهو مستر
(هنرى باسكرفيل) ابن أختى الفقيد ، وهو مقيم حالياً
فى أمريكا .. لكن ثروة طائلة قد آلت إليه بوفاة عمه .. »
وانتهى د. (مورتيمر) من القراءة .. فسأله
(هولمز) :

« لا بد أن لديك من الأسباب ما يدعوك لطلب
رأىي .. »

« أنا يا مستر (هولمز) رجل علم .. يكره أن
يقال عنه إنه يصدق خزعبلات الفلاحين .. لكنى
أعرف أن خرافة كلب (باسكرفيل) التى حكيتها لك
كانت تملك من سير (تشارلز) كل مملك قبل وفاته ..
وكان يؤمن بها ويتحاشى السير فى الفلاة ليلاً .. »

وتنظر لنا بعينين غريبتين .. وبصوت مبوح
أردف :

- « آثار أقدام كلب ضخم ! » -

★ ★ ★

« لَكُمْ من مرة سألتني عما إذا كنت أسمع عواء كلب
هتل ، أو أرى وحشاً غريباً في الغلاة المحيطة بالقصر ..
وذات مرة زرته قبل وفاته فوجدته ينتظرني عند
الباب .. ورأيت عينيه تتمسكان هلعاً .. نظرت ورأيت
فرايت حيواتنا أسود ضخم الجسد في حجم عجل يركض
مبتعداً .. حاولت اللحاق به ، لكنه كان قد ذاب في
الظلام .. »

« وأحدثت هذه الحادثة أسوأ الأثر لدى سير
(تشارلز) .. وبدأ فواده يضعف .. لهذا اقترحت عليه
أن يسافر بعض الوقت إلى (لندن) لينسى كل شيء
عن قصر أجداده المخيف والفقير المحيط به .. »
« وفي ليلة وفاته أرسل خادمه (باريمور) عامل
الاسطبل (بركنز) كي يأتي بي .. هرعت إلى القصر ..
ولاحظت ما لاحظته (باريمور) من اختلاف في آثار
الأقدام .. لكنني لم أر آثار أحد سوى أقدام (باريمور) .. »
« كان سير (تشارلز) منبطحاً على وجهه ،
وأصابعه قد حفرت الأرض .. وعلى وجهه كانت
أعنف أمارات هلع رأيتها .. وقمت بالبحث حول الجثة
فوجدت آثار أقدام حديثة العهد .. آثاراً غير آدمية .. »

شعرت برجفة تسرى في عروقي حين سمعت العبارة الأخيرة ، أما (هولمز) فراح يسأل د . (مورتيمر) في حرص :

« هل أنت واثق من رؤيتك هذه الآثار ؟ »

« كما أنا واثق من أنني أراك .. »

« ولم يرها أحد سواك ؟ »

« كانت بعيدة عن الجثة حوالي عشرين متراً .. »

ويمكن بسهولة ألا تراها .. لكنني أؤكد أنها هائلة الحجم .. »

« هلا وصفت لي للممر الذي هلك سير (تشارلز) في نهايته ؟ »

« إنه طريق مرصوف بين صفيين من أشجار كثيفة ارتفاعها اثنا عشر قدماً ، ويوجد حزام من العشب يفصل الأشجار عن الطريق .. ويوجد باب صغير على جانب الممر يقود إلى الفلاة .. وباب في نهايته يقود إلى المنزل اللصيفي .. »

- « وهل كان الباب الصغير مغلقاً ؟ »

- « كان عليه قفل محكم .. لكن أي امرئ يقدر

على اللوثب فوقه .. والآثار كانت هناك .. يبدو لي أن سير (تشارلز) وقف هناك بعض الوقت لأن رماد لفافة تبغته تساقط هناك مرتين .. إن المرء ينفص

السيجار مرة كل خمس دقائق .. »

قال (هولمز) في سرور :

« مرحى ! إن د . (مورتيمر) يفكر مثلنا

يا (واطسون) .. »

وضرب بقبضته على ركبته متحسراً .. وقال :

« ألا ليتني كنت هناك ! الحق أنها قضية

شائقة .. »

قال د . (مورتيمر) في تردد :

- « إن هذه القضية تحمل طابعاً خارقاً للطبيعة ..

لا أجرؤ على قول هذا ، لكن الأساطير قد كثرت في المنطقة إلى حد مريب .. لقد رأى الناس في الفلاة وحشاً فيه كل صفات كلب (باسكرفيل) .. يقولون إنه مخلوق هائل الحجم يشع ضوءاً كأنه شبح .. »

« لقد أجمع الكثيرون على ذات الوصف .. ودعني

أؤكد لك أن ملكوت الرعب قد بسط جناحيه فوق المقاطعة .. فلا يجرو على المشى فى القلاة ليلاً إلا رجل له قلب من فولاذ .. »

- « وهل حقاً - وأنت رجل علم - تؤمن بهذه الترهات ؟ »

- « أنا لا أدرى ما اعتقده .. »

هز (هولمز) كتفيه وقال :

- « أرى تناقضاً فى كلامك يا سيدى .. فقد جئت تطلب عونى ، وبرغم هذا أراك تحمل يقيناً بأن فى الأمر شيئاً خارقاً للطبيعة يستحيل على معرفته »

- « أنا لم أطلب منك التحقيق فى مصرع سير (تشارلز) .. بل أرغب منك أن تحمى سير (هنرى باسكرفيل) .. الذى سيصل إلى (ووترلو) حالاً .. »

- « الوريث المقيم فى أمريكا ؟ »

- « نعم .. وهو شاب حسن الخلق ، وأنا القائم على

تنفيذ وصية سير (تشارلز) »

- « هل من ورثة آخرين ؟ »

- « هناك (روجر باسكرفيل) أصغر ثلاثة أخوة ..

وكان سين الخلق .. رحل إلى أمريكا الوسطى ، ومات

هناك بالحمى الصفراء .. وهناك أخ أوسط توفى شاباً ، وخلف لنا (هنرى) .. وهناك أخ كبير هو سير (تشارلز) رحمه الله .. وأنا أجد غمراً فى قبول أن يدخل سير (هنرى) قصر أجداده .. »

- « لم لا ؟ »

- « هل تتسى اللعنة المحيطة بهذا البيت ؟ أنا

أعرف أن سير (هنرى) سيلقى ما لاقاه سابقوه .. لكنى - من ناحية أخرى - أرغب فى أن يتواجد واحد من آل (باسكرفيل) هنا يوماً .. فوجودهم ينعش المقاطعة بمشروعات نافعة لا غنى عنها .. »

قال (هولمز) بعد تفكير :

- « لكن - إذا صحت نظريتك بخصوص وجود

قوى مما وراء الطبيعة - فهذا يعنى أن الخطر يهدد الوريث فى كل مكان .. وليس فى (ديفون شاير) وحدها »

- « هذا صحيح .. »

- « إن خذ عربة واتجه لاستقبال سير (هنرى)

فى المحطة .. ولا تقل له شيئاً حتى أكون رأياً .. »

- « ومتى تكون رأياً ؟ »

« أعطني يوماً .. وسأكون لك شاكراً لو جئتني
في العاشرة غداً ومعك سير (هنرى) .. »

« ليكن .. »

وغادر الدكتور (مورتيمر) المكان .. فجلس
(هولمز) بيتسم راضياً إذ وجد قضية معقدة بما يكفي ..
وسألنى :

« هل أنت خارج يا (واطسون) ؟ »

« نعم .. »

« إذن أرجو أن تمر على حاتوت (برادلى)
وتطلب منه أن يرسل لى أفضل ما عنده من تبغ ..
وإبنى لأرجو - كذلك - أن تتأخر فى العودة ليلاً كى
تتيح لى التفكير فى هذه القضية الشائقة .. »

★ ★ ★

عدت من النادى فى التاسعة مساءً ففتحت باب
الشقة ..

خيل لى أن حريقاً قد اجتاح المكان .. دخان كثيف
يغطى كل شىء .. وبصعوبة أركت أن هذا دخان غليون
(هولمز) .. ورأيتَه وسط السحب جالساً على مقعده
الأثير يبخن، وجواره على المنضدة لفافلت ورق كثيرة ..

قال لى وأسناته تطبق على الغليون :
« هل أصابك البرد ؟ أراك أمضيت وقتك فى
النادى .. »

بدت على الحيرة .. فقال :

« هذا منطقى جداً يا عزيزى .. فالיום ممطر
وأنت نظيف لم يتسخ حذاؤك ولم تبتل ثيابك .. وأنت
بلا أصدقاء سوى ، فأين أمضيت اليوم إذن ؟ »

« هذا .. حسن .. أمر واضح .. »

« ثمة أشياء كثيرة لا يفطن أحد لها برغم
وضوحها .. وأين تحسبنى ذهبت ؟ »
« ظلمت حيث أنت .. »

« بالضبط .. لكنى شربت قنحين من القهوة
التمتازة ، ودخنت كمية هائلة من التبغ الجيد ..
وأرسلت فى طلب خريطة لـ (ديفون شاير) كى أدرس
مسرح الحادث .. »

ومذ يده ليقتح خارطة كبيرة جواره .. وأشار
إليها :

« هوذا قصر (باسكرفيل) .. توجد غابة حوله ..
ثم هى ذى قرية (جريمين) حيث يقيم د. (مورتيمر) .. »

ثمة مزرعتان في قلب الفلاة ، هما (فولمير) و(هاى نور) .. ثم سجن (برنستون) الكبير هنا .. «
 ثم أشار إلى النافذة التي فتحتها وقال :
 - « أرجو أن تعيد غلقها يا (واطمون) .. فإن
 الأماكن المغلقة تساعدنى على تركيز أفكارى .. ليس
 إلى حد الحياة فى صندوق طبعاً .. »
 ثم سألتنى :

- « دعنا نتأمل هذه القضية .. لتر أولاً ذلك التغيير
 فى آثار الأقدام فى الممر .. لقد تكلم عنه د. (مورتيمر)
 وقال إن سير (تشارلز) بدأ فى السير على أطراف
 أصابعه .. ما معنى هذا ؟ إن هذا يبدو سخيفاً .. »
 - « وما رأيك ؟ »

- « كان الرجل يجرى يا (واطمون) .. يجرى
 فراً بحياته .. ثم أصيب بنوبة قلبية اجتمع فيها
 المجهود والذعر فهوى ميتاً .. »
 - « وما الذى رآه ؟ »

- « لا أدرى .. لكنه شئء جعله يجن هلعاً ..
 بالتأكيد جنّ هلعاً .. ففى فراره لم يتجه إلى المنزل
 حيث الأمان ، بل ابتعد عنه .. ويبدو أنه صرخ كثيراً



قال لى وأسنانه تطبق على الغليون :

- «هل أصابك البرد ؟ أراك أمضيت وقتك فى النادي .. »

طالبًا الغوث - طبقًا لرواية العجري - ثم بح صوته ..
وهنا نقطة أخرى : من الذى كان ينتظره فى الممر
ليلتها ؟ »

- « ومن قال إنه كان ينتظر أحدًا ؟ »

- « هذا واضح .. رجل مريض ، شيخ يخرج فى
الليل البارد .. و ينتظر عشر دقائق كاملة جوار باب
المروج .. ليس هذا بأسلوب من يتريّض .. إن
القضية قد غدا لها جسد يا (واطسون) .. فهلا
ناولتنى القيثار ؟ علينا أن ننحى كل شيء عن أذهانتنا
حتى نلقى د . (مورتيمر) وسير (هنرى) غدا .. » .

★ ★ ★

- ٣ -

ما كادت الساعة تدق العاشرة حتى جاء زائرانا ..
واستقبلهما (هولمز) فى روبه المنزلى .. لقد كان
الميعاد دقيقًا ..

كان السير (هنرى) فى الثلاثين من عمره ، ذا
شعر أسود وحاجبين كثين .. وقد لوحت الشمس
بشرته مما يشى بكفاحه تحت تقلبات الجو .. وكانت
سمات الأرسقراطية والاعتداد بالنفس تتمشى مع
ما قيل عن أصله ..

قال لـ (هولمز) :

- « كنت قادمًا لزيارتك يا مستر (هولمز) حتى
قبل أن يكلمنى د . (مورتيمر) عنك .. فقد حدثت
واقعة غريبة نوعًا لى .. هذا الخطاب .. »

كان مطروفاً رمادى اللون كتب عليه بخط متعرج :
سير (هنرى باسكر فيل) - فندق (نورث ميرلند) ..
ويبدو أن مكتب البريد ختمه مساء أمس ..

« هل كان أحد يعرف أنك تنتوى الإقامة في ذلك الفندق ؟ »

« لا أحد سوى ود . (مورتيمر) .. »

فتح (هولمز) المظروف فأخرج ورقة مطوية فتحها .. فقرأنا عبارة واحدة تم تكوينها من كلمات مطبوعة ملصقة :

« لا تمش في الغلاة حرصاً على حياتك .. »

وكانت كلمة (الغلاة) هي اللفظة الوحيدة المكتوبة يدوياً ..

قال (هولمز) :

« هلا جلبت لى نسخة من جريدة (التيمس)

الصادرة أمس يا (واطسون) ؟ »

وأحضرت له الجريدة .. ففتحها وراح يتأمل صفحاتها .. ثم نظر إلى العمود الافتتاحي وقال :

« هوذا مقال افتتاحي عن حرية التجارة .. يقول

المقال : هناك فريق يؤكد أن زيادة الضرائب الجمركية تحمي الصناعة المحلية .. نقول لهذا الفريق : (لا تمش في) هذا الطريق (حرصاً على) اقتصاد البلاد .. إن نقص

الواردات يؤثر في (حياتك) وحياة كل مواطن .. »

وفرك كفيه .. وقال بمرح :

« ما رأيك يا (واطسون) ؟ »

قال سير (هنري) في حيرة :

« إن ضرائب الجمارك هي آخر ما أفكر فيه

الآن يا مستر (هولمز) .. »

قال (هولمز) :

« بل العكس .. إن الرسالة التي وصلتك جاءت

من هنا .. فها هنا تجد كلمات (لا تمش في) و (حرصاً

على) و (حياتك) .. »

هتف د . (مورتيمر) في دهشة :

« إن هذا مذهل يا مستر (هولمز) ! كيف عرفت

اسم الصحيفة ومقالها الافتتاحي بهذه السرعة ؟ »

قال (هولمز) :

« كما يمكنك يا د . (مورتيمر) أن تميز بين

جمجمة الزنجي وجمجمة الإسكيمو .. أنا كذلك أميز

افتتاحية (التيمس) أتيقة الحروف ثابتة الحبر من

باقي الصحف .. هذا شيء واضح .. وقد رجحت أن

يكون صاحب الرسالة اختارها من جريدة أمس .. نفس

يوم الإرسال .. ويمكن القول إنه قصّ الكلمات بمقص
أظفار .. هذا واضح من قطع الورق .. وألصقها
بالصمغ فوق الورقة ..

- «ولماذا كتب (فلاة) بخطه؟»

- «من الصير أن تجد لفظة (فلاة) في الجريدة ..

فهى لفظة غير شائعة ..

- «هذا رائع .. هل تكلنا الرسالة على شيء آخر؟»

- «كما ترون .. العنوان مكتوب بخط رديء ..

وهذا معناه أن مرسل الرسالة رجل مثقف حاول اتحال

خط غير خطه .. لأن جريدة (التيمس) شبه قاصرة

على المثقفين .. إنه شخص يخشى أن نرى خطه ..

ثم هو يتصرف بعجلة كما هو واضح من قلة العناية

بإلصق الكلمات .. فلماذا هو متعجل؟»

قال د . (مورتيمر) :

- «هنا تنتهى الحقائق وتبدأ الافتراضات ..

- «بل نحن نعمل بطريقة علمية منظمة .. (*)»

(*) مازالت طريقة (هولمز) فى الاستنباط تدرس فى كليات

شرطة عديدة بالعالم .

ويمكننى أن أذهب أبعد من هذا ، فأقول إن عنوان
الرسالة على المظروف قد كتب فى فندق ..

- «وكيف تعرف هذا؟»

- «سنرى من العنوان أن هناك عسراً واضحاً فى

استخدام المداد .. وقد تم ملء قلم الحبر ثلاث مرات ..

ولا أحد يترك قلمه فى حالة كهذه ما لم يكن بعيداً عن

المحبرة .. أى أنه فى فندق .. وأراهن أننا لو فتشنا

فى سلال المهملات الخاصة بالقنادق فى (تشيونج

كروس) ، لوجدنا جريدة (التيمس) ذات الفجوات

إياها ..

ثم نظر إلى سير (هنرى) سائلاً :

- «ألم يحدث لك شيء غير مألوف منذ وصلت

إلى (لندن)؟»

فكر سير (هنرى) قليلاً .. ثم قال :

- «أنا لا أعرف ما هو مألوف أو غير مألوف بالنسبة

لحياة اللندنيين .. لكنى لا أحسب فقد فردة حذاء حدثاً

مألوفاً ..

- «هذا مهم .. أرجو أن توضح لى أكثر ..

- «لا شيء .. تركت الفردة مع زميلتها خارج

حجرتى فى الفندق ، وفى الصباح لم أجدها .. والخادم لا يعرف شيئاً .. لقد ابتعت الحذاء ولم أضعه فى قدمى قط .. لقد كان ثميناً يساوى ستة ريالات .. »

قال (هولمز) :

« أعتقد أنها لم تكن سرقة وإنما هى إهمال عادى .. وأنتك حتماً واجد الحذاء .. »

هنا كان صبر السير (هنرى) قد نفذ .. فهو لا يملك أية خلفية عن الموضوع .. لهذا طلب من د . (مورتيمر) أن يحكى له بالتفصيل عما يحدث ..

وحكى د . (مورتيمر) القصة بالتفصيل ..

حين انتهى السرد ؛ قال سير (هنرى) فى دهشة :

« يبدو لى أثنى نلت ميراً ملعوناً .. نعم أنا قد

سمعت عن كلب (باسكر فيل) منذ طفولتى لكننى اعتبرته خرافة لا أكثر .. ثم هناك ذلك الخطاب .. »

قال (هولمز) :

« يبدو أن هناك من يعرف جيداً ما يحدث فى

الفلاة .. ويريد حمايتك .. »

« أو إبعادى لغرض فى نفسه .. »

ثم قال فى عزم :

« لن يقدر إنسى ولا جنى على أن يمنعنى من

الحياة فى بيت أسلافى .. فهذا هو قرارى النهائى الذى لا محيد عنه .. لكن هذه الأخبار قد فاجأتنى يا مستر

(هولمز) .. لهذا أحتاج إلى بعض الوقت حتى أستوعب

ما سمعت .. دعنا نلتق فى الفندق اليوم على الغداء

يا مستر (هولمز) .. »

وأنصرف الرجلان ..

وعلى الفور كف (هولمز) عن الكسل .. اتلبه

النشاط فخرج يرتدى ثيابه ومعطفه .. وصاح فى :

« ارتد المعطف والقبعة يا (واطسون) .. أسرع ! »

وهرعنا إلى الشارع .. فرأينا الرجلين يعبران شارع

(أوكسفورد) على بعد مائتى متر من مكاننا .. رحنا

نركض وراءهما حتى دنونا منهما .. ثم تبعناهما إلى

شارع (ريجنت) ووقفنا بعيداً عنهما ..

هنا صاح (هولمز) فى سرور :

« ها هوذا رجلنا ! »

قالها وهو يشير بعصاه إلى عربة مقفلة تقف بعيداً

عن الرجلين .. وبدخلها رجل لم أتبين وجهه .. وفى

اللحظة التالية أخرج الراكب رأسه فرأيت وجهها ذا

لحية كثة وعينين لامعتين .. فما إن رأنا حتى هتف
يقول للسائق شيئاً .. عندها اندفعت العربية مسرعة
نحو نهاية شارع (ريجنت) ..

كان قد ابتعد عنا فلم يعد سهلاً أن نلتحق به .. ولم
نجد عربات أجرة حولنا ..
قال (هولمز) :

- « هذا هو من يتتبع سير (هنرى) منذ جاء إلى
لندن) .. وإلا فكيف عرفوا أنه سيقيم فى فندق
(نورث مبرلند) ؟ »

- « لكنه بذلك يغدو تحت رحمة السائق .. ومن
المؤسف أننى لم ألتقط رقم العربية .. »
- « كلا يا عزيزى .. إن شيئاً كذا لا يفوتنى ..

الرقم هو ٢٧٠٤ .. »
- « لقد رأيت لحيته .. »
- « من الواضح أنها مستعارة .. وهى كافية لتغيير
ملاح الوجه تماماً .. »

★ ★ ★

- ٤ -

اتجهنا بعد الظهر إلى فندق (نورث مبرلند) حسب
الموعد ..

وصعدنا فى الدرج فإذا بنا تلقى سير (هنرى
باسكرفيل) .. كان يمسك فى يده بفرده حذاء قديمة
متسخة .. ويصيح حاتقاً وقد احمر وجهه :

- « كذا ! هم يحسبوننى أحمق لكنى سأريهم أننى
مرّ الطعم .. لو لم يعد الحذاء المفقود فلسوف يندمون ..
لقد بالغوا فى مزاحهم يا مستر (هولمز) .. »
- « هل تعنى أن حذاءك لم يرجع ؟ »

- « نعم .. بل وسرقوا (فرده) من حذاء آخر .. لم
يتركوا لى من أحذيتى الثلاثة سوى هذا الذى أرتديه ! »
وجاء خادم ذر لكنته الألمانية يقول فى حرج :

- « سيدى .. ليس لحذائك أثر فى الفندق كله .. »
- « حسن .. ما لم يظهر الحذاء قبل الغروب ستكون
لى كلمتان مع المدير .. »

- «عزراً سيدي .. سنجد الحذاء حتماً ..»
 - «سترون أنكم لن تسرقوا مني شيئاً آخر ..»
 واجتمعنا على طعام الغداء .. فلم يتلفظ أحدنا بشيء
 عن قضية كلب (باسكر فيل) حتى جلسنا في قاعة
 الجنوس .. فأعلن سير (هنري) :

- «سأذهب للإقامة في قصر (باسكر فيل) في آخر
 الأسبوع ..»
 قال (هولمز) :

- «ربما كان قراراً صائباً .. فالحقيقة هي أن هناك
 من يتعقبك في (لندن) .. وهي مدينة كبيرة يسهل أن
 تؤذي فيها دون أن نستطيع حمايتك .. هل تتصور
 مثلاً أن رجلاً ملتحمياً كان يقفوا أترك اليوم ؟»
 هتف د . (مورتيمر) :

- «ولكن .. ولكن (باريمور) خادم سير (تشارلز)
 ملتحم ..»

- «هل هو في القصر الآن ؟»
 - «بالتأكيد ..»

تناول (هولمز) ورقة تلغراف وكتب عليها نص
 برقية «هل أعدتكم كل شيء لوصول سير (هنري) ؟»



فإذا بنا تلقى سير (هنري باسكر فيل) .. كان يمسك
 في يده بفرده حذاء قديمة متسخة ..

ما فيه من وقاحة : لو أن حادثاً أصاب سير (هنرى)
فمن يرث هذه الثروة الطائلة فى (باسكرفيل) ؟ »
- « لا يوجد ورثة قرييون .. لهذا تتول الثروة
إلى قريب بعيد اسمه (جيمس دزموند) .. ويعمل
واعظاً فى كنيسة (وستمورلاند) .. »
- « وهل قابلت هذا المستر (دزموند) ؟ »
- « نعم .. وهو رجل صالح مهذب .. زارنا فى
القصر ذات مرة .. »

سأل (هولمز) سير (هنرى) :

- « وهل قمت أنت بكتابة وصيتك ؟ »
- « لا .. لم أجد وقتاً لذلك .. لكنى أرى أن يتم
توريث المال والعقارات مغاليتمكن الوريث من الحفاظ
على مجد آل (باسكرفيل) .. »
قال (هولمز) :

- « حسن يا سير (هنرى) .. يمكنك الذهاب إلى
أصر أجدانك .. لكنى أرى ألا تذهب إليه وحدك .. إن
د . (مورتيمر) معك .. لكن بيته بعيد عن القصر
ولديه عمله وعيادته .. لذا أرى أن تصحب رجلاً
يكون معك فى كل لحظة .. »

وجعل المرسل إليه مستر (باريمور) فى قصر
(باسكرفيل) .. ثم كتب برقية أخرى نصها : (السيد
مدير مكتب تلغراف (جريمين) .. المرجو فى حالة
عدم وجود مستر (باريمور) لتسلم برقيته باليد أن
تبرقوا لنا باسم سير (هنرى باسكرفيل) - فندق
(نورث مبرلند) .. »
وقال :

- « هكذا تعرف قبل المساء ما إذا كان (باريمور)
فى القصر أم لا .. »

ثم إنه سأل د . (مورتيمر) :

- « قل لى يادكتور .. لابد أن (باريمور) وامراته
ينعمان بحرية وسعة عيش فى قصر (باسكرفيل)
الآن .. »
- « طبعا .. »

- « وهل خصهما سير (تشارلز) بشيء من
ميراثه ؟ »

- « نعم .. خمسمائة جنيه لكل منهما .. »
- « وطبعاً كانا يعلمان ذلك مسبقاً .. لعمرى إتها
أخبار طيبة .. سؤال آخر يادكتور ، وأرجو أن تغفر لى

- «ومن تراه يصلح ؟»

- «إن د. (واطسون) خير من يقوم بهذا العمل !»

قالها وهو يضع يده على كتفى .. فشعرت بدهشة

غامرة ، ولم أدر ما أقول بينما سير (هنرى) يضافحنى

فى حرارة ويقول :

- «هذا كرم منك يا د. (واطسون) .. ولن أنسى

صنيعك ما حييت ..»

لم أجد ما أقول ردًا على هذه المجاملات ..

فغمغت :

- «حسن .. سأذهب بكل رضا ..»

- «أراك فى المحطة يوم السبت فى الحادية

عشرة والنصف ..»

وركبت العربة جوار (هولمز) عائدتين إلى دارنا

فى شارع (بيكر) .

قضى النهار كله وأكثر المساء يدخلن غليونيه

بفضاعة ، ويفكر صامتًا .. وفى أول المساء عرفنا أن

(باريمور) الخادم ما زال فى قصر (باسكرفيل) .

دق جرس الباب فذهبت لأفتحه ..

رأيت رجلاً فظ المظهر لم أحتج لجهده كى أعرف

أته حوذى المركبة التى أخذ (هولمز) رقمها ، والتى

كان الملتحنى الغامض يركبها ..

قال الرجل :

- «لقد أخبرونى فى المخفر أنك تبحث عن حوذى

المركبة رقم ٢٧٠٤ .. إن لى فى القيادة سبع سنوات

ولم أر شكوى واحدة فى حقى ..»

قال (هولمز) :

- «ليس فى الأمر شكوى يا رجلى الطيب .. بل

سأعطيك جنيتها لو أجبته سؤلى ..»

بدا الرضا على الرجل .. وسأل :

- «ماذا تريد يا سيدى ؟»

- «أريد معرفة كل شىء عن الرجل الذى كان

يراقب هذا المنزل صباح اليوم ، ثم راح يتتبع رجلين

فى شارع (ريجنت) ، ثم أمرك بالابتعاد ..»

بدا الارتباك على الحوذى .. وقال :

- «المفترض أن تعرف هذا يا سيدى .. فالرجل

من الشرطة السرية ، وقد طلب منى ألا أتيس ببنيت

شفة .. وقال إن اسمه (شيرنوك هولمز) !»

فوجيء (هولمز) بالإجابة ، فاتفجر يضحك .. وقال :

- « يا له من رجل يا (واطسون) ! الحق أنه
سريع البديهة يفكر بذكاء .. وقد تفوق على في هذا ..
وأين قابلته ؟ »
قال الحوذى :

- « في ميدان (ترافجار) .. وقد نقدنى جنيهين
مقابل أن أطيعه طاعة عمياء طيلة اليوم .. وكان
يراقب رجلين ذهباً من فندق (نورث بمبرند) إلى
شارع (بيكر) .. ثم غادراه إلى شارع (ريجنت) ..
وفجأة أغلق الرجل نافذة العربة وأمرنى أن أتطلق
بأقصى سرعة إلى محطة (ووترلو) .. وهناك نقدنى
أجرى وقال لى : ربما يهملك أن تعلم أنك كنت فى
صحبة (هولمز) .. ومن هنا عرفت اسمه .. »

- « هل يمكنك أن تصفه ؟ »

حك الحوذى رأسه مفكراً وقال :

- « لا شيء خاصاً فيه .. فى الأربعين .. شاحب ..

متوسط الطول .. له لحية كثة .. »

- « حسن .. هاك الجنيه .. ولك مثله لو جلبت لى

معلومات أخرى .. »

واتصرف للرجل مسروراً .. بينما نظر لى (هولمز)
فى خيبة أمل وأسف .. وقال :
- « خيط آخر لم يعد مهماً يا (واطسون) .. لقد
خسرنا معركة (لندن) لكنى أتمنى لك الفوز فى معركة
(ديفون شاير) ! » .

★ ★ ★

يجب أن تدرس أمر كل هؤلاء يا عزيزي .. وليكن
مسنمك جاهزاً في حالة الخطر .. وكن حذراً .. «
لحقت بعربة السير (هنرى) ود. (مورتيمر) بالدرجة
الأولى .. وأخرجت رأسى من النافذة أودع (هولمز)
الذى وقف على المحطة يرمق القطار صامتاً ..

★ ★ ★

راح القطار يقطع طريقه بين المزارع الخضراء
والمروج الغناء ، ونمت صداقة لا بأس بها بينى وبين
صديقى فى السفر ..

ومن بعيد لاحظت غابة عند سفح جبل .. فهتف د .
(مورتيمر) ..

« إنها الغلاة .. »

وتوقف القطار فى محطة صغيرة .. وسرعان
ما راح الحمالون ينقلون الحقايب إلى عربة يجرها
حصانان ..

كان الجو رطباً بسيطاً لكنى لاحظت عددًا أكثر من
اللازم من الجنود ، الذين يحملون سلاحهم ويتأملون
الناس فى اهتمام وشك ..

- ٥ -

بينما نحن فى طريقنا إلى المحطة ؛ قال (هولمز) :
- « ستكتب لى كل الحقائق بالتفصيل أى (واطسون) ،
وتترك لى مهمة ربطها واستخلاص النتائج .. أريد
معرفة علاقة سير (هنرى) بجيرانه الجدد .. أريد
أخباراً عن وفاة سير (تشارلز) .. أريد أخباراً عن
الجيران .. »
سألته :

- « هل ترى أن يبدأ سير (هنرى) بطرد الخادم

وزوجته ؟ »

- « لا .. فالظلم سيكون فادحاً فى حالة براءتهما ..
ولعل طردهما يجعلهما يعجلان بتنفيذ مخطط شيرير ما ..
أريد منك أن تراقب صاحبى المزرعتين .. أن تراقب
د. (مورتيمر) وإن كنت أعرف أنه برىء .. هناك عالم
تاريخ طبيعى يعيش مع أخته ، واسمه (ستيلتون) ..
وهناك مستر (فراتكلاد) صاحب قصر (لا فتر) ..

بينما نحن نشق دربنا بالعربة نحو قصر
(باسكر فيل) ، قال السائق الذى عرفته أن اسمه
(بيركنز) :

« إن مسجوناً قد فرّ من سجن (برنستون) منذ
أيام ثلاثة .. لهذا تراقب الشرطة مخارج المقاطعة ،
لكن دون توفيق .. »

كانت العربة ماضية وسط الحقول والمراعى التى
لا ترى نهاية لها .. ومن بعيد ترى الهضاب المكسوة
بالعشب ..

تسأل (مورتيمر) :

« من هو المسجين الهارب ؟ »

« إنه (سلدن) .. سفاح (نوتنج هول) .. »

تذكرت الاسم .. لقد كانت جريمة شنعاء بلغ من
هولها أن المحكمة اعتبرت القاتل مخبولاً ولم تحكم
بإعدامه ..

ومن بعيد لاح قصر (باسكر فيل) المبنى من الحجر ..
كان رهيباً مهيباً يقف وسط الأشجار كلغز قديم ..
ودخلت العربة طريقاً بين صفيين من الأشجار ..
ورحنا ندنو من القصر ..

استقبلنا رجل فارح الطول .. تقدم منا ورحب
بمسير (هنرى) :

« مرحباً ياسير (هنرى) .. إن قصر (باسكر فيل)
يرحب بك .. »

وكانت معه امرأة .. فعرفت أنه الخادم (باريمور)
وزوجته ..

وانسحب د. (مورتيمر) لتقله عربة سير (هنرى)
إلى داره .. بينما أدخلنا الخادم إلى بهو كبير به موقد
مشتعل .. ورحت أتأمل (باريمور) فوجدته رجلاً
فارح الطول ذا لحية سوداء كثة .. وسيماً إلى حد ما ..
قال لسير (هنرى) :

« يسرنا يا سيدى أن نبقى معك حتى تعد للقصر
ما يلزمه من خدم .. بعد هذا نحن مستعدان للرحيل ..
فالقصر كان فى استطاعتنا أيام سير (تشارلز) لأنه
لم يكن يزور ولا يزَار .. أما مع التغييرات التى ترمع
سيادتكم عملها .. »

قال سير (هنرى) :

« لكن أسرتنا تتعامل مع أسرتك منذ دهر ..
ولن أبدأ حياتى فى القصر بأن أغير هذا .. »

جفا عيني برغم إرهاق السفر .. كان السكون تاماً
ما خلا صوت دقات ساعة حائط ..

فجأة سمعت في الظلام صوت امرأة تنن ! امرأة
تبكي .. وواضح أن الصوت آت من داخل القصر ..
مكث صوت البكاء نصف ساعة ثم انتهى .. وعاد
السكون إلا من صوت دقات الساعة الرتيب ..

★ ★ ★

بدا التأثير على الخادم وقال :

- « هذا يؤثر في ياسيدي .. لكني أحمل - وزوجتي -
ذكريات كثيرة لهذا القصر توشك أن تكون أليمة بعد
رحيل سير (تشارلز) .. وأعتقد أننا لن نجد راحة في
الحياة هنا بعد ذلك .. »

كانت حجرتي جوار حجرة سير (هنري) ، وكلاهما
تطلان على رواق طويل يمتد من شرفة في نهاية بهو
القصر ..

ويبدو أن الحجرة قد تم تجديدها حديثاً لأن ورق
الحائط كان زاهي اللون ، وكان أثاثها حديث الطراز ..
وجلسنا نلتهم العشاء صامتين ، ثم دخلنا إلى قاعة
الجلوس ..

قال سير (هنري) :

- « إنه مكان كئيب والحق يقال .. يخيل إلي أنه
معد لي بشكل ما .. وإنسى لأفهم سر تدهور الحالة
النفسية لعمي .. »

جاء موعد النوم ..

دخلت غرفتي ورفقت في الفراش ، لكن النوم

- « كان مستر (باريمور) مشغولاً .. لذا قمت
بتسليم البرقية لامرأته فلما أعرفها .. »
عدت من المكتب شاعراً بالحيرة ..
إن وجود (باريمور) فى (لندن) أو عدمه أمر
يستحيل التيقن منه ..

هنا سمعت من ينادينى .. فنظرت للوراء لأجد
رجلاً نحيلاً يحمل شبكة لصيد الفراش ، ومعه علبة
للعينات النباتية .. قال لى :

- « أعزنى على تطفىلى يا د . (واطسون) ..
فنحن على طبيعتنا ها هنا .. إتنى من الجيزان وأدعى
(ستبنتون) .. »

- « هذا واضح .. فاستاذ التاريخ الطبيعى يسهل
تمييزه .. لكن كيف عرفتنى ؟ »

- « د . (مورتيمر) أشار إليك من بعيد ونكر
اسمك .. هل سيشرقنا مستر (هولمز) بزيارة
المقاطعة ؟ »

كان سؤالاً غريباً لم أتوقعه .. لكنى تماكنت نفسى
وقلت :

- « إنه مشغول حالياً .. ولايمكنه ترك (لندن) .. »

على مائدة الإفطار عرفت أن السير (هنرى) سمع
الصوت ذاته ليلاً ، لكنه كان شبه غاف فلم يحاول
تبيين كنهه ..

وسألنا (باريمور) عن هذا الصوت فامتقع وجهه
قليلاً .. وقال :

- « توجد امرأتان فى القصر إحداهما زوجتى ..
والأخرى فى الجناح البعيد .. وأنا أعرف أن صوت
البكاء لم يصدر عن زوجتى .. »

كان كاذباً .. عرفت أنه كاذب حين دخلت امرأته
ولمحت عينيها المحمرتين وجفنيها المنتفخين .. لماذا
كذب ؟ لماذا بكت زوجته ؟

كان على أن أتيقن من أنه لم يكن فى (لندن) ..
لهذا ذهبت إلى مكتب تلغراف (جريمين) وسألت عن
تسلم برقية (باريمور) .. هل هو (باريمور) نفسه ؟
لكن الصبى الذى سلم البرقية قال :

- « أنا مستعد لتقديم العون فى أية مشكلة تضايقتك
أو تحقيقات تريدها .. »

وكننا قد دنونا من منزله .. فقال :

- « تفضل بالدخول .. سأقدمك لأختى .. »

كان من واجبى أن أكون مع سير (هنرى) .. لكن
الرجل مشغول الآن فى دراسة الأوراق .. ثم إن من
واجبى كذلك أن أتعرف الجيران .. لهذا قبلت الدعوة ..
وسرت مع (ستبلتون) قاصدين بيته ..

قال وهو يرمى القلاة حوله :

- « إن القلاة هنا حاقله بالأسرار العظمى .. لقد

مضى على عامان ها هنا أدرسها .. ولا يعرفها حق
المعرفة سوى قليلين .. »

- « هل هى صعبة إلى هذا الحد ؟ »

- « جداً .. انظر إلى هذه الهضبة الشمالية .. هل

ترى شيئاً غير عادى ؟ »

- « تبدو لى مكاناً صالحاً للنزهة فوق جواد .. »

ضحك وقال :

- « هل ترى البقاع الأكثر خضرة وسطها ؟ هذه

هى مستنقعات (جريمين) العظمى حيث يدفع الجاهلون

ثمن جهلهم .. خطوة واحدة تكون الأخيرة .. إنها
تبتلع كل من يدنو منها ، وهى الآن أخطر بعد أمطار
الخريف .. لكنى أعرف ممرين يمكن المشى فيهما .. »
- « وماذا يدعوك لعبورها ؟ »

- « إنها تقودنى إلى جزر تعج بالنباتات النادرة
والفراشات الثمينة .. ولا أنصح أحداً بمحاولة العبور
هذه .. »

وفجأة دوى فى المكان صوت حشرجة بدأت
واهنة .. ثم تعالت حتى ملأت الأرجاء .. وأخيراً غابت
فى حزن عميق ..

صحت فى دهشة :

- « ما هذا بحق السماء ؟ »

قال فى غموض :

- « إن القلاة لملاى بالأسرار .. يقول الفلاحون

إن هذا صوت كلب آل (باسكر فيل) ينادى فريسته .. »
ثم أردف وهو يرمى المستنقعات :

- « ربما هو صياح طير جارح .. »

ومرت جوارنا فراشة جميلة .. هنا فارقنى
(ستبلتون) وراح يركض وراءها فى خفة ورشاقة ..

ورأيتُه يوغل داخل المستنقعات حتى كاد قلبي يقف
ذعرًا .. لقد نسي كل شيء عنى ..

هنا سمعت من يمشى خلفي فنظرت للوراء .. كانت
امرأة تدنو مني .. وكاتت حذاء رشيقًا سوداء
العينين ، أدركت أنها شقيقة (ستبلتون) ..
رفعت قبعتي محييا .. لكنها لم تردّ التحية .. فقط
قالت كلمة واحدة :

- « غد أدراجك ! غد ! »

وكلفت تضرب الأرض بقدمها في نقاد صبر .. فسألتها :

- « أعود ؟ لماذا ؟ »

- « لن أوضح .. لكنني أتصحبك بالعودة إلى

(لندن) .. »

- « ولكنني جئت من فوري و .. »

صاحت في حلق :

- « ألا تفهم أن هذا لمصلحتك ؟ غد إلى (لندن)

في أول قطار .. صه ! إن أخى قائم .. أرجو أن

تقتطف لي هذه الزهرة البرية .. ما أجملها ! »

هنا جاء (ستبلتون) يلهث .. وبدا مندهشًا لرؤيتنا

معًا .. وقال :



ومرت جوارنا فراشة جميلة .. هنا فارقتي (ستبلتون)

وراح يركض وراءها في خفة ورشاقة ..

- « كانت فراشة نادرة لكنى لم أظفر بها .. »
وأدركت أنه غير سعيد لهذا اللقاء .. وعيناه
اللامعتان تنتقلان بينى وبين شقيقته .. ثم قال :

- « قد تعارفتما كما أظن ؟ »
قالت الفتاة :

- « إنه سير (هنرى باسكرفيل) على ما أحسب ؟ »
قلت :

- « كلا .. أنا د . (واطسون) .. صديقه .. »
دعانا (ستبلتون) إلى الدخول .. ولاحظت أن الفتاة
تضايقت لهذا الخلط ..

كان المنزل ريفياً عتيق الطراز ، لكن تنسيق الفتاة
كان واضحاً .. ورحت أرمق الفلاة الموحشة من
النافذة ، فقال (ستبلتون) كأنما قرأ أفكارى :

- « مكان غريب لكننا نجبه .. أليس كذلك
يا (بيريل) ؟ »

ردت الفتاة بلهجة غير صادقة تماماً :

- « بلى .. »

وحكى لى (ستبلتون) أنه كان مدير مدرسة فى
شمال إنجلترا .. ثم نفسى فيها الوياء واضطر إلى

إغلاقها .. وجاء مع أخته ليستقر هاهنا ويدرس
النبات والحشرات البرية ..

ثم دعانى إلى الصعود معه للطابق العلوى كى أرى
مجموعاته .. لكنى اعتذرت فلم يكن لدى وقت كاف ..
وعدت عبر الفلاة وفى ذهنى أسئلة عدة ، عما قالته
الفتاة ، وعن صوت العواء ، وغير ذلك ..

هنا فوجئت بالأنسة (ستبلتون) جالسة إلى جانب
الطريق ، وكانت تبتسم فى رقة وقالت :

- « لقد ركضت كى ألقى بك ، وسلكت طريقاً
مختصراً .. إننى آسفة على تلك الهفوة ، وأرجو أن
تنسى ما قلته لك نسياناً تاماً .. »
سألتها :

- « لكنى أبعى معرفة سبب نضحك لـ (سير
هنرى) بالعودة إلى لندن .. »

- « إن للنساء تصرفات غريبة قد لا يكون لها
مبرر واضح .. لكن هل تعرف أسطورة كلب
(باسكرفيل) ؟ »

- « إن هذا لهرء .. »

- « أما فأصدق كل حرف منها .. وأرجو أن
تصح سير (هنرى) بتحاشى هذه المقاطعة للخطرة .. »
- « لن يقادر المكان ما لم يجد ما بين يديه
حقائق .. ثم لماذا تكرهين أن يسمع أخوك رأيك ؟ »
- « إن (ستبلتون) حريص على أن يقيم وريث
(باسكرفيل) فى قصره ، فهذا يفيد الفلاحين هاهنا جم
الفائدة .. ولمسوف يحقنه أن يعلم أتنى طلبت من سير
(هنرى) مغادرة المكان .. والآن وداعاً .. »
ووثبت بين الصخور حتى توارت عن عيني ..
وغدت إلى قصر (باسكرفيل) قلقاً متوجساً ..

★ ★ ★

- ٧ -

عزيزى (هولمز) :

- « أظنك فى خطابتى السابقة على كل الأحداث
التي طرأت منذ قدومنا إلى (باسكرفيل) .. لا أثر
للسجين الهارب ويرجح أنه غادر المقاطعة ..
تم التعارف بين (ستبلتون) وسير (هنرى) ،
واصطحبنا هذا الأول كى يرينا الفلاة .. ثم دعانا إلى
منزله لتناول الغداء ..

وقد لاحظت ميلاً واضحاً من سير (هنرى) نحو
الفتاة .. وامتعضاً واضحاً من (ستبلتون) تجاه هذا
الميل .. ولاحظت أنه يحاول ألا يتيح للثنتين فرصة
الانفراد أبداً .. واضح أنه متعلق بأخته ولا يرغب فى
أن تتزوج فيغدو وحيداً ..

تعرفت كذلك مستر (فراتلاند) مالك قصر (لافتنر) ..
وهو رجل شيخ ذو وجه أحمر وشعر أشيب .. عاكف
على دراسة الفلك بالتلسكوب .. وهو حالياً يمسح
الفلاة به بحثاً عن السجين الهارب ..

الجديد فى الأمر أن شكى يتزايد بصدد (باريمور)

.. الخادم ..

أمس صحت فى الثانية صباحاً لأسمع صوت
قدمين تمشيان خارج الغرفة .. نهضت وفتحت الباب
فرايت (باريمور) يمشى فى الرواق حاملاً شمعة ..
وقد قررت أن أتبعه خلسة ..

رأيت أنه يدخل غرفة خالية فى الجناح الآخر ..
ووجدته يقف خلف النافذة يحرك الشمعة باستمرار ..
كان يرمق للمروج ..

ظلّ بعض الوقت فى هذا العمل ، ثم أطفأ الشمعة
وعاد .. عندها هرعت إلى حجرتى واندسست فى
الفرش .. وسرعان ما نمت ..

لا أستطيع استنتاج شىء من كل هذا ، لكنك طلبت
منى أن أحكى كل صغيرة وكبيرة فى هذا المنزل ..
وقد اتفقت مع سير (هنرى) على أسلوب تكشف
به سرّ هذا البيت .. لكن موضع هذا فى خطاب آخر ..

★ ★ ★

- ٨ -

عزيزى (هولمز) :

لقد اتفق رأيتى وسير (هنرى) على أن نتبع
(باريمور) معاً فى رحلته الليلية ..

لقد بدأ سير (هنرى) فى إصلاح القصر ،
مستكماً ما بدأه عمه سير (تشارلز) وإن كان الأمر
يتجاوز التجديد إلى ما يبدو لى أنه إعداد لقوم
عروس .. وأنا أعتقد أن هذه العروس هى مس
(ستيلتون) ..

منذ يومين استعد سير (هنرى) للخروج ،
واستعددت كى أتبعه كدأبى .. لكنه بدأ غير راغب فى
ذلك .. وكان سهلاً أن أستنتج أنه ذاهب إلى لقاء مس
(ستيلتون) .. قررت أن أتركه يخرج ثم أتبعه لأطمئن
على سلامته ..

وعلى بعد ربع ميل رأيتهما .. كتنا يمشيان جنباً
إلى جنب ويتحدثان ..

هنا أجبلا ونظرا إلى ما بين الصخور .. ورأيت
(ستبلتون) يخرج من بين الصخور ويعدو نحوهما
ملوحًا بقبضته ..

ورأيت مشادة بين الرجلين ، بدا فيها سير
(هنرى) يحاول للتفسير .. و (ستبلتون) حائق منفعل ..
ثم جذب أخته من ذراعها كي تمضى معه إلى البيت ،
ووقف سير (هنرى) وحيدًا كاسف البال ..

الحق أن موقف (ستبلتون) غريب .. فقد علمت
أن سير (هنرى) سأله يد أخته .. لكنه لم يقبل وأبى
في حلق ..

إن سير (هنرى) رجل ثرى وسيم حسن الخلق ..
وهو زوج صالح للفتاة .. ثم إن الفتاة تتعامل باستسلام
ورخاوة تجاه مصيرها الخاص .. أليس هذا غريبًا ؟
وفي المساء تحسن الموقف نوعًا ..

لقد جاء (ستبلتون) إلى القصر ، فاعتذر لسير
(هنرى) عن خشونته .. وقال إن حبه لأخته جعله
يشعر بأن كل عريس إنما يحاول سرقتها منه .. وطلب
من سير (هنرى) ألا يتضابق ، فهو - (ستبلتون) -

موافق على الزيجة .. لكنه يسأل سير (هنرى) ألا
يحاول مغالبة الفتاة لمدة ثلاثة أشهر .. على أن
تكون هذه الأشهر فرصة لتوطيد التعارف بينهم ..
وزالت الضغائن بعد هذا الموقف ..

أما عن صوت البكاء الليلي فقد كشفنا عنه الستار .
فى المساء كنت وسير (هنرى) ننتظر حتى يبدأ
(باريمور) رحلته الليلية .. ثم دقت الساعة الثابتة بعد
منتصف الليل .. فسمعنا صوت خطواته فى البهو ..
خلعنا أحذيتنا وفتحنا الباب ، وهرعنا نلحق
بـ (باريمور) ..

كان فى الحجرة إياها أمام النافذة والشمعة فى
يده ..

هنا دنا منه سير (هنرى) .. فما إن رآه الخادم
حتى ارتجف هلعًا ، وامتقع وجهه ، وتراجع عن
النافذة .. فسأله سير (هنرى) :

« ماذا تعمل ؟ »

قال مرتجفًا :

« إن هى إلا جولتى الليلية للاطمئنان على
النوافذ يا سيدى ! »

في صرامة سأله سير (هنرى) :

« لا تكذب .. ما سبب وهوفك هنا يا (باريمور) ؟ »

ارتجف الرجل أكثر .. وفي تعاسة قال :

« لا تمسلى يا سيدى أرجوك .. فهذا السرّ

لا يخصنى .. »

وهنا دنوت من النافذة ورحت أحرك الشمعة ..

فقد بدا لى الأمر كأن (باريمور) يعطى إشارات

لشخص ما فى القلاة ..

رحت أرمق الظلام .. عندها رأيت ضوءاً شاحباً

يتألق من بعيد ..

صحت فى حماس :

« هذا هو ما نبحث عنه .. »

تهدج صوت (باريمور) قائلاً :

« أقسم لك يا سيدى إن هذا لا شىء .. »

قال سير (هنرى) :

« إن الضوء يتحرك مع حركة ضوءنا .. إنها

إشارات يا (باريمور) .. وإبنى لأتساءل عن المؤامرة

التي تدبرها .. وشريكك فى هذا .. »

« قلت إنه شأنى يا سيدى .. »

« إذن أنت مطرود ! »

« أمرك يا سيدى ! »

هنا سمعنا صوتاً نساتياً يصرخ :

« لا ياسيدى ! نحن لا ندبر شيئاً ضدك صدقتى ..

أنا من دفع (باريمور) إلى هذا .. ولا ذنب له فى

شىء .. »

كانت هذه زوجة (باريمور) التي دخلت علينا

وهى فى ذروة الشحوب ..

سألها سير (هنرى) :

« إذن ما معنى هذه اللعبة ؟ »

قالت :

« إنه أخى الذى يموت جوعاً فى القلاة .. لهذا

نعدّ له الطعام ، ونشير له بالشمعة كي ينتظرنا .. ثم

أتجه أنا له بالطعام حيث يتألق ضوءه هناك .. »

« إذن أخوك هو .. »

« هو (سلدن) السجين الهارب .. »

نظرنا لها فى ذهول غير مصدقين علاقة تربطها

بهذا السفاح .. لكنها قالت :

« كان هو وصمة عار أسرتنا ، وقد هرب من

السجن فجاجنى هاهنا يطلب العون ، ولم أستطع أن
أرفض ذلك .. فهو أذى ولن أتركه يقضى جوعاً ..
لهذا اتفقتا على هذه الإشارات المتبادلة كل ليلة ..
قال سير (هنرى) :

- « حسن .. يمكنكما الذهاب للنوم .. وسوف
نتكلم عن هذا غداً .. »
واتصرفا .. فراح يرمق الضوء البعيد مفكراً .. ثم
قال لى :

- « ما رأيك فى القبض عليه يا (واطسون) ؟ »
- « فكرة لابأس بها .. فهذا المجرم خطر علينا
جميعاً .. وقد يأتى يوم يهاجم فيه (ستابلتون) وأخته ..
أرى أن الحكمة تقضى أن نقبض عليه .. »
- « مرحى .. إذن هات مسدسك سريعاً وتسرع .. »
وخرجنا إلى الغلاة الباردة ، والقمر يطل علينا من
وراء السحب .. ثم بدأ المطر ينهمر مدراراً لكننا كنا
نرى الضوء بوضوح تام ..
فجأة دوى ذلك الصراخ الغريب القادم من
مستنقعات (جريمين) .. بدأت خافتة عميقة ثم صارت
عواء مخيفاً عالياً .. ثم عادت لتينا كالحشرة ..

وصداها يدوى فى الفضاء موحشياً عميقاً ينذر
بالويل ..

كان السير (هنرى) يسمعه للمرة الأولى .. أمسك
بذراعى مذعوراً وهتف :

- « رياه ! ما هذا يا (واطسون) ؟ »

- « إنه صوت مألوف هاهنا .. »

- « لكنه عواء كلب هائل ! »

كان مذعوراً ، وانتقل ذعره إلى ، وبرد الدم فى
عروقى ..

سألنى :

- « ماذا يقولون عن هذا الصوت يا (واطسون) ؟ »

لم أدر كيف أتخلص منه .. أخيراً قلت بعد إلحاح :

- « يقولون إنه عواء كلب آل (ياسكرفيل) .. »

تنهد فى عمق .. وقال هامساً :

- « نعم .. هو عواء كلب .. وواضح أنه آت من

مستنقعات (جريمين) .. »

- « هل نعود أبراجنا ؟ »

- « لا .. لقد جننا نبحث عن السجين .. ولسوف

نفعل حتى ولو ركضت خلفنا كلاب جهنم ذاتها .. »

ورحنا نتقدم فى الظلام وسط الفلاة .. قاصدين
النضوء الشاحب الذى رأيناه فى النافذة .. وأخيراً
رأينا مصدره .. كانت شمعة مثبتة فى فجوة صخرية
حتى لا تطفئها الرياح ..

تهامسنا واتفقنا على الاختباء خلف صخرة ..
عندها رأينا وجهاً دميماً فى عينيه شرّاً وإجرام ،
يطل من الفتحة فى حذر .. وثبت صارخاً أدعوه
للتوقف .. لكنه أطلق سبّةً وقذفنا بصخرة .. ثم راح
يركض مبتعداً بأقصى سرعة ..

كان خفيف الحركة ، لكنى لم أجرو على رميته
بالرصاصة .. فقد كان أعزل لا يحمل سلاحاً ،
والمسدس كان لحمايتى لا لقتله ..

كان سريعاً ، لهذا جلسنا فوق الصخور نلهث ..
هنا حدث شيء غريب .. لقد رفعت رأسى لأعلى
فرأيت فى ضوء القمر خيال رجل فارغ الطول نحيل
يقف فوق هضبة ..

كان مطرفاً برأسه ويداه على صدره معقودتين
كأنما يفكر ..



كانت شمعة مثبتة فى فجوة صخرية ، حتى لا تطفئها الرياح ..

استكرت أهيب بسير (هنرى) أن ينظر إلى
ما أراه، لكن الرجل تلاشى فى الظلام ..
وعدنا أدرجنا إلى قصر (باسكرفيل) صفر اليبين ..
لكننا على الأكل عرفنا سر (باريمور) وزوجته ..
ويمكننا أن نضعهما كما ترى خارج دائرة الشبهات ..

★ ★ ★

- ٩ -

مقتطفات من مذكرات د . (واطسون) :

١٦ أكتوبر :

الضباب كثيف والمطر ينهمر مداراً .. وشعور
الخطر يقمرنا ..

من هو الغريب الذى رأيتَه أمس فوق التل ؟
أنا أعرف أنه ليس (ستبلتون) ولا (فراكلايد)
ولا (باريمور) ..

لقد غدا سير (هنرى) عصبى المزاج مشتتاً .. إنه
لم ينس صوت العواء الذى سمعه فى القلاة .. وكان
يدرك أن هذا الصوت من أجله هو ..
وفى الصباح جاء (باريمور) طالباً الحديث مع سير
(هنرى) ..

قال له :

« لقد علمت ياسيدى أنكما كنتما تطاردان
(سلدن) .. لماذا لا تتركنا هذا التعس لما هو فيه من
بؤس ؟ »

قال سير (هنرى) :

« إنه سفاح له وجه سفاح .. وهو خطر داهم على المقاطعة ما ظل حراً طليقاً .. كم من أبرياء يستطيع هذا القاتل أن يؤذيهم .. »

« أقسم بشرقى يا سيدى إنه لن يؤذى أحداً .. لقد أعدنا عدتنا كي نرحله إلى أمريكا الجنوبية ، وبعدها لن يسمع عنه مخلوق .. أما إبلاغ رجال الشرطة عنه فلن يؤدى إلا إلى توريطى أنا وزوجتى .. »

« وماذا إذا اعتدى على أحد قبل رحيله ؟ »

« لن يفعل يا سيدى .. لأن أية جريمة ستجعل

الشرطة تعلم مكانه .. »

قال سير (هنرى) :

« حسن .. يا (باريمور) .. لن تبلغ الشرطة .. »

بدا الرضا على الرجل .. لكنه لم ينصرف ، وبدا

أنه يريد قول شيء ما .. وبعد هنيهة قال متردداً :

« إنك عطوف يا سيدى .. لهذا أبغى مساعدتك

فى قضية وفاة عمك سير (تشارلز) .. ثمة نقطة لم

أذكرها لمخلوق ، ولم أعرفها إلا بعد انتهاء التحقيق

فى الوفاة .. »

« هل تعرف كيف مات ؟ »

« لا .. لكنى أعرف سبب انتظاره عند باب

الفلاة ليلة وفاته .. كان ينتظر امرأة .. »

شعرنا بدهشة لهذا التصريح .. وسألناه :

« ما اسمها ؟ »

« اسمها (ل . ل) .. هذا كل ما أعرفه .. »

« وكيف عرفت هذا ؟ »

« لقد تلقى سير (تشارلز) رسالة فى صباح

نلك اليوم .. رسالة مرسله من (كومب تراس) .. »

وقد نصبت كل شيء عنها لولا أن امرأتى كانت - منذ

أسابيع - تنظف مكتب السير (تشارلز) .. ووجدت

بقايا رسالة فى المدفأة .. رسالة محترقة لم يبق منها

سوى نهايتها .. وكانت تقول : (أسألك أن تحرق هذه

الرسالة .. وأن تنتظرنى عند باب الفلاة فى العاشرة ..

التوقيع

« ل . ل »

« هل الرسالة معك ؟ »

« لا .. لقد تفتتت بين أمانل زوجتى .. »

« ولماذا لم تخبرنا ؟ »

- « كنا قد اتشغلنا بشأن (سلدن) .. ثم إننا شعرنا بأن إذاعة هذه الرسالة قد يؤذى سمعة الفقيد .. فالرسالة تتكلم عن امرأة .. وقد يسبب هذا شوشرة .. »
- « حسن .. يا (باريمور) .. يمكنك الاتصاف .. »
وما إن اتصرف (باريمور) حتى سألتني سير (هنرى) عن رأيي فقلت :
- « الضباب يزداد كثافة .. »

- إن البحث عن هذه الـ (ل . ل) لن يكون عسيراً فيما أرى .. وهى التى ستقودنا إلى الحقيقة .. »
- « أرى أن نخبر (هولمز) بكل شيء .. »
وعدت إلى غرفتى ، فكتبت لـ (هولمز) تقريراً مفصلاً .. كنت أعلم أنه مشغول ، ومن الواضح أنه نسى موضوع كلب (آل ياسكرفيل) هذا .. لكنى كنت أمل أن أشير حماسه بما فى الخطاب من أنباء جد مهمة ..

١٧ أكتوبر :

المطر يهطل مدراراً .. لا أتمالك من التفكير فى الباتس الذى يقبع الآن فى الفلاة بلا سقف يحميه .. إن هذا السجين يكفر عن خطاياہ الآن ..

جاء المساء فارتديت معطفى الواقى من الماء .. ومشيت فى الفلاة أصغى لصوت الرياح وأشعر بالمطر يغمر وجهى ..

وصعدت إلى الهضبة التى رأيت عندها أمس ذلك الرجل الغامض .. فلم أر من فوقها سوى قصر (باسكرفيل) ، والأكوخ الحجرية المتناثرة التى كان يعيش فيها قوم ما قبل التاريخ منذ ملايين السنين ..

قررت العودة إلى القصر ، فقابلت د . (مورتيمر) يقود عربته بنفسه .. فما إن رأتى حتى أصر على أن أركب معه فى طريق العودة .. وكان قلماً على كلبه الصغير الذى خرج إلى الفلاة واختفى .. هنا استنتجت أن الكلب قد غرق فى مستنقعات (جريمين) الرهيبه .. سألته والعربة ماضية بنا :

- « هل تعرف كل سكان المقاطعة ياد . (مورتيمر) ؟ »

- « كلهم .. »

- « هل من امرأة تدعى (ل . ل) ؟ »

فكر لحظة .. ثم قال :

- « لا .. إلا إذا كانت من العجر .. فلست واثقاً من

ذلك .. ولكن .. هناك (ل . ل) حقاً .. هى (لورا ليونز)

« لا أعرف عنه شيئاً منذ ثلاثة أيام يا سيدي ..
 ربما كان قد رحل .. »
 « هل قابلته ؟ »
 « لا .. لكن الطعام اختفى في اليوم الثاني ..
 ربما كان هو أو الرجل الآخر .. »
 « رجل آخر !؟ »
 « نعم .. هناك رجل آخر في الفلاة .. »
 « هل رأيته ؟ »
 « لا .. لكن (سلدن) أخبرني بأمره .. وهو متوار
 مثل (سلدن) تماماً .. »
 ثم صمت الرجل باحثاً عن كلمات ، وقال وهو
 يشير إلى النافذة :

« إتنى لا أحب كل هذا الجو الشيطاني ..
 ولسوف أشعر بالرضا لو أن سير (هنرى) عاد
 أدراجه إلى (لندن) .. »
 « لكن لماذا ؟ »
 « لقد حامت الشكوك حول وفاة سير (تشارلز) ..
 ثم بعد هذا تجد أصوات العواء الليلية فى المروج ..
 لقد صارت تلکم الفلاة مكاتاً محرماً .. ثم ذلك الرجل

وتعيش فى (كومب تراس) .. إنها ابنة (فراكلايد) ! »
 « ابنته ؟ »

« نعم .. كانت قد تزوجت من فتان يوهيمى
 هجرها بعد الزواج .. لكن بعدما طردها أبوها نفسه
 لأنه لم يبارك هذه الزيجة .. »
 « وكيف تعيش ؟ »
 « أبوها يمنحها مرتباً ضئيلاً .. لكن سير
 (تشارلز) و(ستبلتون) وأنا قد تعاونا كى نجد لها
 عملاً تتعيش منه .. »
 حاول أن يعرف أكثر لكنى التزمت الصمت ،
 وتملصت منه ..

★ ★ ★

تناول د . (مورتيمر) العشاء معنا فى قصر
 (باسكرفيل) .. وجلس يلعب الورق مع سير (هنرى) ،
 أما أنا فجلست أرشف القهوة وسألت (باريمور) :
 « هل ما زال أخو زوجتك فى الفلاة ؟ »
 كنا بعيدين عن د . (مورتيمر) فلم يعرف
 ما نتحدث عنه ..
 قال (باريمور) :

لكامن فى الفلاة ينتظر ماذا ؟ كل هذا مريب مخيف ..
« هل عرفت من (سلدن) أين يقضى الرجل
لياليه ؟ »

« فى الكواخ القديمة التى بناها القوم الأثمنون ..
« وطعامه ؟ »

« يجلبه له صبي صغير .. »

واتصرف الخادم .. فاتجهت إلى النافذة أرمى
الظلام فى الخارج .. السحب تزدهم فى السماء منذرة
بهطول المطر .. والرياح تحرك الأشجار فى عنف ..
تخيلت الرجل الغريب القابع فى كوخه وسط الفلاة
فى هذا الزمهرير ..

إن الرجل للغز .. لكنه سيكون هو نفسه مفتاحاً
لهذا اللغز ..
إن الإجابة تكمن فى الكوخ الحجرى ..

★ ★ ★

— ١٠ —

على مائدة الإفطار ، أخبرت سير (هنرى) بما
عرفته عن مدام (ليونز) ، والخطاب الأخير الذى
تلقاه سير (تشارلز) قبل وفاته .. واتفقتا على أن
أذهب وحدى إلى (كومب ترانس) لمعرفة ما يمكن
عن هذه السيدة ..

أوصلنى السائق (بيركنز) إلى هناك .. فنزلت أستعلم
عن مقر مدام (ليونز) ، وأخيراً وصلت بيتها ..
فأدخلتنى الخادمة إلى قاعة استقبال بها سيدة تطبع
شياً على الآلة الكاتبة .. وقد أشرق وجهها حين
رأتنى وسألتنى عما أريد .. فقلت لها :

« لقد أسعدنى الحظ بلقاء والدك .. »

تغيرت معاملتها فى الحال إلى الفتور .. وقالت :
« إن أصدقاء أبى ليسوا أصدقائى .. فهو قد تخلى
عنى .. ولولا معونة سير (تشارلز باسكرفيل) وسواه
للتصورت جوعاً .. إنه أقسى من أن يكون أباً لى .. »

- « لكننى هنا بخصوص سير (تشارلز) نفسه !
بدا عليها الارتباك ، وازدادت عصبية .. فقلت لها :
- « أنت تعرفينه بالتأكيد .. »
- « قلت لك إنه صاحب الفضل على .. وهذا كل
شئ .. »

- « هل تبادلتما خطابات ؟ »
ارتفع صوتها فى حدة .. وقالت :
- « ما معنى هذا الكلام ؟ »

- « أنا أحاول منع فضيحة سرعان ما تكون على
كل لسان .. لذا أرجو أن تجيبى بصدق : هل أرسلت
له خطابات ؟ »

شحب وجهها وقالت بعد صمت طويل :

- « حسن .. لقد كتبت له خطاباً أو اثنين وكاتنا
بحويان شكراً على كل ما قام به من أجلى .. »
- « ألم تطلبى منه أن يقابلك قط ؟ »
احمر وجهها حنقاً وقالت :

- « المزيد من الأسئلة الغريبة ! »
- « هذا حق .. لكنه مهم بالنسبة لى .. »
- « إنى أنا لم أفعل .. »

- « ولا فى يوم الوفاة ؟ »

شحب وجهها تماماً .. واحتبست لفظة (لا) فى
فمها ، فحركت شفيتها بها ..
قلت لها :

- « سأذكر لك آخر مقطع من الرسالة : أسألك أن
تحرق هذه الرسالة .. وأن تنتظرنى عند باب الغلاة
فى العاشرة . التوقيع : ل . ل . ل . »

قالت وهى تتماسك كى لا تفقد الوعى :

- « ألم يعد رجل شهيم فى هذا العالم ؟ »

- « لا تظلمى الرجل .. فقد أحرق الرسالة لكنها

لم تحترق تماماً .. هذا يحدث كثيراً .. »

قالت فى غضب واندفاع :

- « ليكن .. أنا كتبت الرسالة ! لم أقارف خطأ ما ..

كنت أبغى عونه ، وحسبت أتنى سؤاله لو قبلته وحدى ..

لقد كان يزمع السفر إلى (لندن) وكان على أن أفتحه

سريعاً .. »

- « ولماذا الحديقة بالذات ؟ »

- « لأن المرأة المحترمة لا تدخل بيت رجل عزب

وحيدة ليلاً .. وعلى كل حال نحن لم نلتق قط ! »

« أحقًا ؟ »

« نعم .. لقد جذّ جديدٍ منعنى من اللحاق به .. »

« وما هو ؟ »

« شأن خاص من شئونى .. »

قلت وأنا أتلهض عازمًا على الانصراف :

« أنت تضعين نفسك فى مشكلة .. وسوف يجد

البوليس حكايتك واهية تمامًا .. فأنت ضربت لسير

(تشارلز) الموعد والمكان اللذين مات فيهما .. ثم

زعمت أنك لم تذهبي .. هذا يبدو غريبًا .. »

فكرت المرأة قليلاً ثم قالت :

« حسن .. أنت تعرف أننى تزوجت زيجة نمت

كثيراً عليها فيما بعد .. وتفصلت عن هذا الزوج

المخبول ، لكن القاتون كان يخول له أن يعيدنى بالقوة

إلى بيته .. وكنت أحتاج إلى المال كى أتمكن من

تحرير نفسى من قيد هذا الزواج والظفر بالطلاق ..

لذا كتبت رسالة إلى سير (تشارلز) أسأله فيها للعون ..

وأملت فى أنه - حين يسمع الكلام منى مباشرة -

سيرقى ويمنحنى ما أريد من مال .. »

« إنن لماذا لم تذهبي ؟ »

- « لأنى وجدت المال فى مكان آخر .. ولم أذهب

للموعد .. وفى الصباح علمت بخبر وفاته .. »

لاحقتها بأسئلتى محاولاً استخلاص المزيد ، أو

إيجاد ثغرة فى قصتها فلم أجد .. إن من السهل التأكد

من حقيقة أنها لم تأت إلى (باسكر فيل) فى تلك الليلة ..

فـ (كومب ترييس) صغيرة والأبباء تنتشر فيها

بسرعة ..

أعتقد أنها صداقة .. قد تخفى شيئاً لكنها صداقة ..

★ ★ ★

عدت إلى القصر وقد عزمتم على استكشاف تلك

الأكواخ الحجرية التى يعيش الرجل المجهول فى

أحدها ..

كنت راكباً حين مرت العربة أمام منزل (فراكلاند) ..

وكان الرجل واقفاً على باب الدار ، فما إن رأتى حتى

صاح يدعونى إلى الشراب ..

لم أكن متحمساً للرجل بعد ما عرفت بأمر معاملته

لابنته .. لكنها كانت دعوة كريهة لم أستطع التوصل

منها ..

تخلصت من السائق .. ثم دخلت إلى دار (فراكلاند) ..

قال لى الرجل فى حماسة :

« أعلم أثنى قد سبقت رجال الشرطة بخطوات .. »

« كيف ؟ »

« لقد وقفت على سر يموتون شوقاً كى

يعرفوه .. »

قررت التظاهر باللامبالاة .. فهذا سيجعله يقول كل ما هناك .. وقد كان .

قال لى فى حماس متزايد :

« لقد عرفت مكان ذلك السجين الهارب .. »

« وكيف ؟ »

« من السهل أن تجد الرجل لو بحثت عن

المصدر الذى يحصل منه على الطعام .. وأنا أعرف أن صبيّاً يحضر له الطعام كل يوم .. »

« صبى ؟ »

« نعم .. أراه بالـ (تلسكوب) كل يوم يتجه

للفلاة .. ثم إن .. لكن لحظة .. هل ترى شيئاً يتحرك فوق السفح هناك ؟ »

نظرت إلى حيث أشار .. وخيل إلى أننى أرى

جسماً يتحرك فى ذلك الموضع ..

قال وهو يصعد فى الدرج :

« تعال نره بالـ (تلسكوب) من فوق سطح

الدار .. »

وصعدت وراءه لأجد جهاز (تلسكوب) يقف على

حامل ثلاثى .. ودعأتى الرجل أن أنظر من العدسة

ففعلت ..

كان ما رأيته هو صبى يحمل لفافة ، ويتلفت حوله

فى حذر بينما هو يتسلق سفح التلّ .. ثم توارى عن

عينى ..

قال (فرانكلاند) :

« هل ترى منظره المريب ؟ من السهل أن

نتخيل أية مهمة يقوم بها هذا .. »

غادرت الدار وقد عقدت العزم على بدء بحثى فى

التل الذى رأيت الصبى عنده ..

دنوت من تلك الأكواخ الحجرية القديمة ، ومن

بينها كوخ تم وضع سقف بدائى فوقه بيد إنسان من

أيامنا هذه .. فأيقنت أن هذا هو الكوخ الذى يتوارى

فيه رجلنا إياه ..

كان الصمت يسود المكان .. فرميت عقب لفافة

تبعى ، وأخرجت المسدس من جيبي .. وتقدمت من المدخل ..

كان كل شيء فى الكوخ يدلّ على وجود إنسان .. فهناك بطاطين .. وبقايا نار فى وعاء حجرى .. وأوان مملأ بالماء ..

إن من يعيش هاهنا إنما يعيش منذ زمن بعيد .. فى وسط الكوخ قطعة حجر وجدت عليها لفافة ، بها رغيف خبز وبعض اللحم .. إنها اللفافة التى كان الصبى يحملها حين رأيتَه بالـ (تلسكوب) .. وجوار اللفافة وجدت وريقة كتب عليها بخط ردىء ، وبالقلم الرصاص :

- (د . واطسون ذهب إلى كومب تراس) !
دق قلبى بعنف .. إن هذا الرجل الغامض يفتقى أثرى .. إن هذه الرسالة كتبها له الصبى كنوع من التقرير ..

من هو هذا الرجل ؟ وماذا يريد منى ؟
رحت أفتش الكوخ بحثاً عن مزيد فلم أجد .. فقط عرفت من التفتيش أن الرجل لا يبالي كثيراً برغد الحياة .. ومن الواضح أن ماء المطر المنهمر من السقف لا يضايقه كثيراً ..



ودعانى الرجل أن أنظر من العدسة ففعلت ..
كان ما رأيتَه هو صبى يحمل لفافة ويتلفت حوله ..

بدأت الشمس تغرب .. كقرص دموى ينحدر فى الأفق ، وأشعتها تلتصق فوق مستنقعات (جريمين) ..
ومن النافذة البدائية كنت أرى قصر (باسكر فيل) ..
وبعيداً عنه بيت (ستبلتون) .. شعرت براحة نفسية
لكنها لم تكن تامة لأنى كنت أفكر فى ذلك الرجل
الغامض .. جلست والمسدس فى يدي أنتظره ..
ثم سمعت صوت خطوات تدنو من الكوخ ..
فتوترت مستعداً للصراع ..

توقفت الخطوات هنيهة .. ثم عادت تدنو ..
ورأيت ظل الرجل على الباب وسمعت صوته يقول :
- «ليلة جميلة يا (واطسون) .. لا أدرى ما يرغمك
على البقاء فى هذا الكوخ الكئيب !»

★ ★ ★

- ١١ -

عرفت الصوت على الفور .. فتجمدت فى مكاني ..
إن رجلاً واحداً فى العالم يتكلم بهذا الصوت
الهادئ الساخر .. وإننى لأشعر أن عبء المسئولية
ينزاح عن كاهلى ..

صحت فى فرح :

- « (هولمز) ! (شيرلوك هولمز) ! »

قال :

- « هلم اخرج لى .. واحذر أن يصيبنى مسدسك ! »
خرجت من الكوخ فرأيتَه جالساً فوق صخرة ..
وقد يدا منهكاً مرهقاً لكنه نظيف الثياب حليق الوجه ..
قلت له فى طرب :

- « لم أسعد قط بروية إنسان مثلما حدث الآن .. »

- « ولم تدهش .. ! »

- « حقاً .. أعترف بهذا .. »

- « ولكن كيف عرفت ؟ »

- « لا يمكن ألا أعرف وأنا أرى عقب لغافة تبغك على الأرض .. لغافة تبغ كتب عليها (برادلى - شارع أوكسفورد) .. هذا يدل بوضوح على أنك كنت هنا .. ثم آثار أقدامك .. ليس عسيراً استنتاج أنك بداخل الكوخ تنتظر ومسدسك معك .. وأنا أيضاً ارتكبت أخطاء مماثلة .. فلم ألحظ أن ضوء القمر خلفى تلك الليلة حين رأيتنى فوق الهضبة .. ولم ألحظ أن التلسكوب يمسح الفلاة إلا حين التمتع عليه وهج الشمس .. لكننى أرى أن شكوكننا تمضى فى اتجاه واحد .. »

قلت له :

- « الحق أننى مسرور لوجودك هنا .. فهذه القضية غامضة تسبب لى توتراً مريعاً .. لكن قل لى : لماذا أتيت هاهنا ؟ ولماذا لم تقل لى ؟ »
- « يا صديقى أنا لم أخدعك أو أكذب عليك .. كنت أتوقع أن يكون هناك خطر داهم عليك .. لهذا أردت أن أتواجد ذاتياً منك وأظل مجهولاً بالنسبة لأعدائنا .. وساعدنى اختفائى هنا على حرية التنقل .. تلك الحرية التى ما كنت لأتألمها لو أقمت فى قصر (باسكرفيل) .. »

- « كان بوسعك أن تخبرنى .. »

- « لا .. لأنك كنت ستكشف الأمر .. ما كنت لتتحتمل تركى هنا دون ضروريات أو تحت تقلبات الجو .. لقد تكفل الصبى (كارترايت) فى مكتب البريد بالوفاء بكل مطالبى .. »

- « وتقايرى ؟ لم تستغد منها طبعاً ؟ »

- « بل كان يحملها لى جميعاً ولا يرسلها لى (لندن) .. وإتاك لبارع دقيق الملاحظة حقاً .. والآن إحك لى ما رأيته فى (كومب تراس) .. »
جلسنا داخل الكوخ حيث كان الليل البارد قد غمر الوجود .. ورحت أحكى له تفاصيل لقائى بـ (لورا ليونز) .. وكان هو يصغى باهتمام شديد ..
قال لى :

- « هل تعلم مثلاً أن هناك لقاءات ومراسلات بين مدام (لورا) و(ستبلتون) ؟ إن هذا يقوى ما لدينا من معلومات .. ويمكن أن أجعل زوجة (ستبلتون) فى صفنا بدافع الغيرة .. »
- « زوجة (ستبلتون) ؟ »

« بالطبع .. فمن تقيم قسى داره هسى زوجته
لاأخته ! »

« رياه ! وكيف يسمح لسير (هنرى) بأن يحبها ؟ »
« لم يحدث شىء بينهما .. ف (ستبلتون) يراقبهما
كالمصفر - كما قلت أنت فى خطابتك - ولو آذى هذا
الحب أحداً فهو سير (هنرى) .. »
« ولم يكذب ؟ »

« إن (ستبلتون) يعرف أن عزاء غير متزوجة
ستفيده أكثر من زوجة .. »
بدأ الشك يتلاعب فى نفسى ..

« تريد القول إن (ستبلتون) هو الغريم ؟ وهو
الذى كان فى (لندن) ؟ »

« هذا هو رأى فى اللحظة الحاضرة .. »

« وكيف عرفت ما عرفت ؟ »

« لقد كان الرجل مدير مدرسة فى شمال إنجلترا .. »

ومن السهل أن تسأل فى إحدى الإدارات التعليمية
لتعرف كل شىء عن أحد مديرى المدارس .. لقد
عرفت أن (ستبلتون) قد هجر مدرسته بعد انتشار
الوباء مع زوجته .. زوجته لا شقيقته .. »

« وعلاقته بمدام (ليونز) ؟ »

« إن المرأة تبغى الطلاق من زوجها .. معنى
هذا أنها تطمع فى الزواج من (ستبلتون) الذى تحسبه
غير متزوج .. وسوف يفيدنا أن تعرف الحقيقة .. »
« وما غرض (ستبلتون) من كل هذا ؟ »

« إن فى الأمر جريمة قتل .. جريمة يخطئها
عقل جبار وتنفذها أعصاب من فولاذ .. ويفضل معونتك
لى يا (واطسون) صار (ستبلتون) فى قبضتى .. والخطر
كل الخطر هو أن يضرب ضريته قبل أن نضرب نحن
ضربتنا .. أنا بحاجة إلى يوم أو اثنين لا أكثر ..
أما قبل هذا فالواجب حماية سير (هنرى) .. والحق
أنك ارتكبت خطأ حين تركته وحده كل هذا الوقت .. »
هنا دوت صيحة مريعة .. صيحة فيها كل معانى
الرعب والألم الممض .. فصحت وقد وثب قلبى لقمى :

« رياه ! ما هذا !؟ »

وثب (هولمز) إلى باب الكوخ ينظر ما هنالك ..
لم يكن سوى الظلام بالخارج ..

هنا دوت الصرخة ثالثة .. لكن اختلط بها صوت
آخر ..

صوت زئير عميق يعلو ويهبط كالأمواج .. زئير
كلب يمزق ..

صرخ (هولمز) :

- « الكلب ! كلب (باسكر فيل) ! هلم يا (واطسون) !

رباه ! »

وراح يركض فى القلاة وأنا خلفه .. بينما الصرخة
تتردد من جديد ، كلها يأس وقنوط .. ثم همدت تماماً
.. ولم يعد من صوت سوى سكون الليل ..

- « لقد تأخرنا يا (واطسون) .. تأخرنا أكثر من

اللازم .. »

ورحنا نركض فى الظلام متعثرين بالأشجار
والصخور .. ونصعد الهضاب والمرتفعات .. كنا نقصد
مصدر الصرخة ..

أخيراً توقف (هولمز) وأشار لى لى أرى ..

كان هناك جسم آدمى مكوم على الأرض .. وقد

التنى عنقه فى زاوية غير معتادة ..

وعلى ضوء الثقب رأينا الرأس المهشم ، وقد

تتأثر منه المخ فى بركة من الدماء .. وعرفنا أن هذا

سير (هنرى باسكر فيل) ..

★ ★ ★

كان يرتدى سترته التى قابلنا بها فى (شارع
بيكر) أول مرة .. وانطلقاً لهب الثقب فاطفأت معه
آمالنا ..

أن (هولمز) فى ألم ، بينما كورت قبضتى صالحاً :

- « ويحه ذلك الأثم ! لن أغفر لنفسى أبداً أن

تركته وحده ورحت أجرى تحريتى .. »

- « بل الذنب ننبى .. فقد ضحيت بحياة رجل من

أجل التأكد من شكوكى .. إن هذا أكبر فشل فى حياتى

العملية .. فما توقعت أن يجازف سير (هنرى)

بحياته وسط القلاة بعد ما سمع .. »

ثم قال فى حنق :

- « يجب أن يلقى (سنبلتون) جزاءه .. فقد مات

سير (تشارلز) رعباً حين رأى الكلب .. ومات سير

(هنرى) ساقطاً من عل وقد أبصر هذا الكلب فى

إثره .. المشكلة هى أن تثبت أن للكلب علاقة بحادشى

الوفاة .. »

- « ولماذا لا نقبض عليه حالياً ؟ »

- « مازالت معلوماتنا عن القضية ناقصة .. يجب

إثبات ما نقول .. »

« إذن ماذا نفعل ؟ »

« علينا الآن واجب واحد هو العناية بهذا

التعس .. »

وهبطنا من عل .. كان القمر قد بزغ مما جعل الرؤية واضحة نوعاً فى الضوء الباهت .. ورأيت الجثة فتذكرت ما كانت عليه من دقائق .. وتذكرت صراخها الملهوف .. ودمعت عيناى ..

واتحينا فوقها .. ففوجئت بـ (هولمز) يضحك بصوت عال .. ثم نهض يرقص ويهز يدي فى مرح ، حتى حسبته جنّ ..

« لحية ! لحية ! الجثة لها لحية .. »

« لحية ؟ »

« نعم .. إنه ليس سير (هنرى) بل السجين

الهارب ! »

وقلب الجثة على ظهرها .. فرأيت ذلك الوجه الملتحي الذى يشى بمعالم الإجرام .. إنه حقاً وجه (سلدن) المجرم الهارب ..

وقهمت كل شىء .. فـ (سير هنرى) قد أعطى ثيابه القديمة لـ (باريمور) .. ومن الواضح أن هذا الأخير أعطاها لـ (سلدن) ..

هتف (هولمز) وقد فهم بدوره :

« الآن نفهم ما حدث .. لقد استم الكلب أثر سير

(هنرى) فى ثيابه .. ولعله شمها بالذات فى حذائه الذى فقدته فى (لندن) .. ومن حظ المسجين العاثر أنه ارتدى ثياباً تحمل نفس الرائحة .. وفوجئ بالكلب يطارده عبر الفلاة .. »

« وماذا نفعل بجثة التعس ؟ »

« سنضعها فى كوخ حتى تصل الشرطة .. »

وتعاوننا على حمل الجثمان حين نظر (هولمز) إلى الوراء .. فرأينا (ستبلتون) قادمًا عبر الفلاة .. وكانت فى فمه لفافة تبغ مشتعلة .. فما كاد يراتنا حتى توقف برهة مترددًا ثم واصل المشى حتى وصل إلينا .. فقال :

« أهذا مستر (هولمز) ؟ لم أتوقع لحظة أن

أراك هنا .. لكن .. يا للهول ! لا تقل إن هذه جثة سير (هنرى) ! »

وهرع إلى الجثة وتفحصها .. سقطت لفافة التبغ من يده .. وغمغم :

« .. من هذا ؟ »

« به (سندن) .. لسجين الهارب من (برنستون) .. »
 كان ممثلاً بارعاً .. استطاع أن يدارى خيبة أمله
 بسرعة .. وسألنا في حيرة :
 - « يا للبيشاعة ! كيف لقي حتفه ؟ »
 - « لقد سقط من فوق الصخور .. »
 - « يا للهول ! لقد سمعت صراخه فغادرت
 المنزل .. وكنت قلقاً على سير (هنرى) »
 - « لماذا هو بالذات ؟ »
 - « لأنه كان مدعواً إلى دارى وتلخر بعض الوقت ..
 فقلقت .. »

ثم سألنا وهو ينقل بيننا عينيه :

- « هل سمعتما شيئاً آخر ؟ »

- « مثل ماذا ؟ »

- « مثل تلك الكلب الذى يتحدث عنه الفلاحون هنا ..

ونسمع صوته فى الفلاة ليلاً .. »

- « لا لم نسمع .. ويبدو أن البئس قد جن وراح

يركض فى الفلاة دون روية .. فتعثر وهوى أرضاً .. »

ثم إن (ستبلتون) نظر إلى (هولمز) وقال :

- « يسرنا قدومك هنا .. ومتى ستعود إلى (لندن) ؟ »

- « غداً على الأرجح .. »

- « أبهذه السرعة ؟ عسى أن تكون زيارتك قد

ألقت بعض الضوء على كل هذا الغموض .. »

هزّ (هولمز) كتفيه قاتلاً :

- « ليس النجاح ميسوراً فى كل حالة .. والمحقق

لا يبنى عمله على أساطير .. »

وقررنا أن نرقد الجثمان فى أحد الأكواخ حتى

الصباح ، مع تغطية وجهه .. ودعنا (ستبلتون) إلى

داره ، فأبينا شاكرين .. وعدنا إلى القصر ..

قال (هولمز) :

- « أعصاب من حديد ! لقد تماكك نفسه ، فلم يبد

أقل دهشة أو ذهول لدى معرفته أن لعبته فشلت .. إن

هذا الرجل جدير بنا .. »

- « يؤسفنى أنه رآك .. »

- « أعتقد أنه سيتخذ المزيد من الحذر والحيطه ..

وربما يكون واثقاً من نفسه إلى الحد الذى يدفعه إلى

المضى قدماً فى خطه .. »

- « ولم لا نعتقله الآن ؟ »

- « تلك هى المشكلة .. لن نثبت شيئاً عليه .. أظن

أنه حذر بما يكفي .. فأن يكون الكلام عن كلب جهنمي
مجدياً في المحكمة .. لقد مات سير (تشارلز) بنوبة
قلبية، ولمسوف يقبلها أكثر القضاة تشككاً كحقيقة ..
أين هي آثار أثياب الكلب؟ أين مخالفه؟ نحن لا نملك
الدليل المادي وعلينا أن نجده ..

«ومصرع السجين؟»

«نحن لم نر الكلب .. ولا يمكننا إثبات أنه طرد
القتيل .. كما أنه لا يوجد دافع للجريمة .. كلا
يا (واطسون) .. قضيتنا واضحة لكن ما من محكمة
تقبلها ..»

«وماذا تنتوي؟»

«سأطلع مدام (ليونز) بحقيقة زواج (ستبلتون) ..
وأنتي لآمل ألا ينتهي الغد إلا وقد صار (ستبلتون) في
قبضتنا ..»

«وهل ستعود للقصر معي؟»

«نعم .. فلا مبرر للاختفاء أكثر .. لكني أرجو
يا (واطسون) ألا تخبر سير (هنري) بشيء عن
الكلب .. فأتنا أريده رابط الجأش حين يواجه ما ينتظره
غداً!»

★ ★ ★

- ١٢ -

أص سير (هنري) بالسعادة للقاء (هولمز) ..
لكنه لم يندش .. فهو يتوقع مقدمه منذ أيام، لكنه
لم يفهم سر مقدمه بلا حقايب ..

جلمنا إلى المائدة، وحكيت لسير (هنري) أحداث
الليلة .. لكني لم أذكر شكوكنا في (ستبلتون) ولا الكلب ..
ولقد أطلعت (باريمور) وزوجته بخبر وفاة

(سلدن) .. كان الخبر طينياً بالنسبة لـ (باريمور) لأن
هذا كان هو الحل الوحيد للخلاص من هذا العبء ..
أما هي هيكت في حرقة .. بكت شقيقها الذي أحبته ..

والذي لم تره يوماً سفاخاً كما رآه الناس ..

قال (هولمز) لمضيفنا :

« يبدو أنك يا سير (هنري) كنت تزعم
الخروج ..»

قال سير (هنري) :

« نعم فقد دعاني (ستبلتون) لزيارته ..»

« لقد كان (سلدن) التعمس يرتدى ثيابك ..
ومن حسن الحظ أن مصدر الثياب غير واضح ..
وإلا لوجنتم أنفسكم جميعاً فى مأزق مع الشرطة ..
إنكم جميعاً مدانون بصدد التستر على مجرم وتقديم
العون له .. »

قال سير (هنرى) :

« وماذا عن قضيتنا الحالية ؟ »

« لقد دنوت جداً من الحل .. إنها قضية معقدة

مازال فيها جوانب كثيرة مظلمة .. و .. »

وتصلب وهو ينظر إلى ما فوق رأسى .. حتى
حسبته استحالة تماماً .. وبدا الابتهاج على وجهه ..
ثم أشار إلى عدد من صور زيتية على الجدار ..
وسأل :

« هذه الصور تحفة فنية ثمينة .. »

نظر له سير (هنرى) فى دهشة .. وقال :

« هذا إطرء جميل .. لكنى لا أفهم فى الفنون ..

وكنت أحسبك لا تجد الوقت الكافى لذلك .. »

« إننى أعرف ما يمكننى من القول إنها تحف

فنية .. هل هى تمثل أسرتك ؟ »

« نعم .. »

« من هذا إنن ؟ »

« هذا هو الأميرال (جورج باسكرفيل) .. أما هذا

ذو السترة الزرقاء فهو سير (ويليام باسكرفيل) .. »

« ومن الذى يرتدى المخمل الأسود .. ويضع

الشعلة الزرقاء على صدره ؟ »

« آه .. هذا هو سبب لعنة (باسكرفيل) .. فهو

الشقى (هوجو) ذاته .. »

كان شكل الفتى ينطق بالهدوء والوداعة .. وأثار

هذا دهشتى .. فهو فى تصورى خشن المظهر ضخم

الجتة ..

ولماذا يرمق (هولمز) للصورة بهذا الاهتمام ؟

★ ★ ★

دخلنا غرف نومنا .. لكن (هولمز) وافاتنى بعد

قليل وافتادنى إلى حجرة المائدة ومعه شمعة ..

ودنونا من صورة (هوجو) .. فقرب منها الشمعة ..

وسألنى :

« بمن يذكرك هذا الوجه ؟ »

دفقت فى ملامح الصورة .. وقلت :



قالها وهو يصعد إلى مقعد ، فيمد كفه فوق الصورة
ليحجب القبعة والشعر الطويل ..

- « الفم قم سير (هنرى) .. »
- « حسن .. وهكذا ؟ »

قالها وهو يصعد إلى مقعد ، فيمد كفه فوق
الصورة ليحجب القبعة والشعر الطويل .. ثم عاد
يسألنى عن رأيى .. فهتفت :
- « رباه ! »

كانت الصورة التى أمامى هى صورة (ستبلتون) ..
★ ★ ★

قال (هولمز) :

- « هل فهمت الآن ؟ إن الفراسة مهمة فى المحقق
البوليسى .. ويجب أن يتعلم النظر إلى الوجوه وينسى
ما حولها من شعر وثياب .. »
- « لكن .. كأن هذه صورة (ستبلتون) .. »
- « هذا نموذج طيب لتناسخ الأرواح والأجساد ..
والآن لا يوجد شك فى أن (ستبلتون) من نسل
(باسكرفيل) .. »

- « وهو يحاول الحصول على إرثه .. »
- « بالضبط .. والآن نقول إن (ستبلتون) قد صار
فى قبضتنا ، كما تصير الفراشات التى يحبسها فى
شباكها .. »

وانفجر ضاحكاً ضحكته المتوقعة الشهيرة وهو
يبتعد ..

★ ★ ★

صحت من النوم في الصباح ، لأجد (هولمز) قد
غادر القصر .. ثم عاد بعد قليل وهو يقول مغتبطاً :
« لقد نصبت شبكى كلها .. وبقي أن يحط الطير
بينها .. »

« أين كنت ؟ »

« كنت أبلغ إدارة السجن بوفاة (ملدن) .. والآن
نحدث سير (هنرى) .. »

قال سير (هنرى) وهو يبتسم :

« صباح الخير يا مستر (هولمز) .. ما هي
تعليماتى الحربية ؟ »

« يبدو أنك مدعو هذه الليلة للعشاء مع
(ستيلتون) وأخته .. »

« هذا حق .. وأتمنى أن تحضر معي .. »

« لن يتيسر هذا لأكى راحل مع (واطسون) إلى

لندن .. »

بدا الأسف على سير (هنرى) :

« كنت أتمنى أن تبقى معي فترة أطول حتى
نفهم كل شيء .. إن القصر والفلاة ليسا بالمكان الذى
يحب المرء أن يكون وحيداً فيه .. »

« أرجو أن تثق بي .. وعليك أن تعتذر لمضيفك
لأن ظروفنا مهمة اضطرتنا للسفر إلى (لندن) .. لكننا
نأمل فى العودة سريعاً .. يجب أن تذكر هذه العبارة
حرفياً .. »

« سأفعل ما دمت تريده .. »

« سنرحل عقب الإفطار .. لكن حقايب (واطسون)
ستظل هنا .. »

قال سير (هنرى) :

« سأتى معكما إلى (لندن) .. فلا أريد أن أبقى
وحدى .. »

« لقد وعدتني يا صديقى أن تفعل ما أطلب
منك .. »

« حسن .. كما تريد .. »

« ثمة نقطة أخرى .. يجب أن تعود إلى القصر

على قمميك من دون المركبة .. فهمت ؟ »

« أمشى فى الفلاة وحيداً ليلاً ؟! »

- « تسلمت برقيتك - قادم ومعى أمر الاعتقال -
 أصل الساعة ٣٠ : ٥ - ليستراد) ..
 قال (هولمز) :
 - « إن (ليستراد) هو أيرع مفتشى (سكوتلانديارد) ،
 ومعونته مهمة لنا .. والآن هلم يا (واطسون) نزر
 مدام (لورا ليونز) .. »
 فهمت خطة (هولمز) .. إنه يحاول خداع
 (ستبلتون) ليتوهم أننا عدنا إلى (لندن) .. بينما
 نحن فى الجوار مستعدون للتدخل ..
 واتجهنا إلى مدام (لورا) أو (ل . ل) .. حيث
 قدم لها (هولمز) نفسه ودخل فى الموضوع دون
 مقدمات .. فقال :
 - « لقد عرفت ما ذكرته لدكتور (واطسون)
 بصدد وفاة سير (تشارلز) .. وعرفت ما لم تذكره ! »
 قالت فى تحد :
 - « لم أذكر ماذا ؟ »
 - « العلاقة بين موعدهك للرجل ووفاته فى ذات
 المكان والزمان .. إن الشرطة تعتبر الوفاة جريمة
 قتل .. ولدينا أدلة قوية ضد (ستبلتون) وزوجته .. »

- « نعم .. »
 - « لكن هذا هو عين ما حذرتنى منه .. »
 - « هذا ضرورى .. وعليك أن تنفذه .. »
 - « ليكن .. »
 - « وعليك ألا تعبر الفلاة إلا من ناحية الممر
 الموصل من دار (ستبلتون) إلى طريق (جريمين) .. »
 - « حسن .. »
 بدا لى هذا غريباً .. ف (هولمز) ينوى ترك سير
 (هنرى) فى وقت عصيب حقاً .. لكنه كان يظالنا
 بالطاعة العمياء ..
 وفى محطة (كومب ترانس) فارقنا مركبة سير
 (هنرى) .. واتجه (هولمز) إلى صبى صغير يقف
 على المحطة فقال له :
 - « مرحباً يا (كلترايت) .. ستركب هذا القطار
 إلى (لندن) .. ومن هناك ترسل برقية إلى سير
 (هنرى) تحمل توقيعى ، تخبره فيها أن يبحث عن
 مفكرتى ..
 والآن هل توجد برقيات لى ؟ »
 ناوله الصبى برقية ، فضها (هولمز) فكان بها :

وثبت من المقعد صالحة :

« زوجته؟! إن (ستبلتون) عذب .. »

هزّ كتفيه في هدوء وقال :

« هذا لم يعد سرّاً .. »

« إذن أثبت ما تقول .. »

أخرج من جيبه بعض الأوراق .. وقال :

« هوذا دليل مؤكد .. صورة فوتوغرافية

التقطت في (يورك) منذ أربعة أعوام .. وعلى ظهرها

كتب (مستر ومدام فاتدلير) .. هل تعرفت الوجهين؟ »

التمعت عيناها لمعة مخيفة .. وبعد صمت قالت :

« لقد عرض هذا النذل على الزواج إذا هجرت

زوجي .. ولماذا؟ واضح أنه كان يتلاعب بي تلاعباً

شريراً .. فلم أعد ملزمة بكتمان أسرارهِ .. سلّنى عن

أى شيء تريد : لكن - فاعلم - أنا لم أتعمد قط إيذاء

سير (تشارلز) حين كتبت ذلك الخطاب له .. »

« حسن .. أنا أتقّ بما تقولين تماماً .. هل كتبت

تلك الخطابات استجابة لمطلب (ستبلتون)؟ »

« إنه من أملاه علىّ .. »

« ثم أقتك بعدم الذهاب للموعد؟ »

« نعم .. قال لى إن كرامته تمنعه من أن يترك

أحدًا يدفع لى مالاً .. وهكذا لم أذهب للقاء سير

(تشارلز) .. وعرفت نبأ وفاته في الصباح ..

وعندها أقتنى (ستبلتون) أن أكتّم شأن الزيارة ، لأن

الوفاة حدثت في ظروف مريبة .. ولربما تكاثرت

الشبهات حولى لو تكلمت .. »

« ألم تشكى فى شيء .. »

ترددت وقالت :

« نعم .. كنت أتقّ به .. وكنت أنتوى أن أخلص

له على طول الخط »

قال (هولمز) :

« لكن معرفتك سره تضعك فى خطر داهم ..

وإن اعترافك قد أتجك بأعجوبة من مينة شنيعة .. »

★ ★ ★

على المحطة وقفنا ننتظر القطار القادم من

(لندن) ..

ودخل القطار المحطة .. فبرز لنا من عريات

الدرجة الأولى رجل ضئيل ، صافحنا .. وعرفت أنه

المفتش (ليستراد) ..

كان بادى الاحترام لـ (هولمز) .. وأدركت أنه
يؤمن بنظرياته فى البحث الجنائى إلى حد كبير ..
على عكس باقى رجال (سكوتلانديارد) الذين يرون
فى الاستدلال المنطقى مضیعة للوقت !:

سأل (ليستراد) :

- « هل جدّ جديد ؟ »

قال (هولمز) :

- « هى أروع قضية قابلناها منذ أعوام .. وأرى
أن نتناول العشاء إلى أن يحين وقت العمل بعد
ساعتين .. هل رأيت (دارتمور) من قبل ؟ لا ؟ أظن
أنك لن تنسى هذه الزيارة أبداً ! »

★ ★ ★

- ١٣ -

إن الكتمان هو أسوأ عيب فى شخصية (هولمز) ..
فهو يحتفظ بخطه لنفسه ولا يبوح بها لأمريء مهما
كان .. وبعض هذا يعود إلى حبه لإيهار من حوله ..
لكن الجزء الأكبر يعود لطبيعة مهنته التى تتسم
بالاحتياط وعدم التساهل فى التفاصيل ..

لكن كتمانته هذا يسبب ضيقاً بالغاً لمن حوله ...
وكان الكيل قد طفح بى فى تلك الليلة ، ونحن نعبر
الفلاة فى الظلام .. فنحن فى آخر فصول المأساة ومن
حقى أن أعرف .. لكن (هولمز) ظل صامتاً لا يقول
حرفاً ..

وشعرت بهواء الليل البارد ، ورأيت ظلام المروج
الدامس اللامتاهى ، ولم أتمالك أن أرتجف .. إن حوافر
الخيل تقربنا من نهاية المأساة ..

دنونا من قصر (باسكرفيل) فترجلنا .. وصرفنا
السائق .. ثم مشينا نحو دار (مستبلتون) .. وتساءل
(هولمز) :

نظرت من الزجاج فلم أر سوى سير (هنرى) و (ستبلتون) يدخان ويرشغان القهوة، كان (ستبلتون) يثرثر بغزارة بينما سير (هنرى) واجم الوجه صامت .. وخطر لى أنه يفكر قلقاً فى الرحلة التى سيقطعها فى القلاة ساعة العودة .. فتبدو له الفكرة مفزعة .. نهض (ستبلتون) وغادر الغرفة، تاركاً سير (هنرى) وحده يدخن ..

سمعت صوت خطواته فوق الأرض المفروشة بالحصى .. ثم رأيتَه يخرج من الدار فیتجه إلى مبنى صغير فى الحديقة .. فأولج المفتاح فيه .. وهنا سمعت ضوضاء غريبة، وصوتاً أقرب إلى سلاسل تفك .. ثم عاد إلى المنزل .. عدت فى صمت إلى (هولمز) وأخبرته بما كان .. فسألنى :

« تقول إن السيدة ليست معهما ؟ »

« لا .. »

« إنن أين هى ؟ »

وبدأت سحابة كثيفة من الضباب تنتشر فوق المستنقعات .. وازدادت كثافة كأنها - فى ضوء القمر - جبل جليدى .. وراحت تكو منا ..

« هل مسدسك معك أيا (ليستراد) ؟ »

ابتسم الرجل فى ثقة :

« إنه لا يفارق جيبى .. »

« حسن .. »

ونظر المقتش فى رهبة السفوح المظلمة .. والضباب الكثيف فوق مستنقعات (جريمين) ؛ فقال فى تطير :

« هذا المكان لا يريحنى كثيراً .. »

قال (هولمز) :

« هذا منزل (ستبلتون) .. سندنو منه فى هدوء

تام .. »

ومشينا فى حذر إلى هناك .. وعلى بعد مائتى متر

قال (هولمز) :

« فلنتوار وراء هذه الصخور .. »

ثم سألنى :

« ما هذه النافذة المضاعة أمامنا ؟ »

« إنها نافذة غرفة الطعام .. »

« إنن لزحف فى هدوء .. وانظر خلصة لترى

ما هنالك .. »

رأها (هولمز) فبدأ عليه القلق .. وقال :

- « إنها تدنو منا يا (واطسون) .. »

- « وما خطر هذا ؟ »

- « سيجعل هذا الرؤية متعذرة علينا .. وأملنا

الوحيد الآن في أن يغادر سير (هنرى) الدار قبل أن

تحجبه هذه السحابة عنا تمامًا .. »

وزحفت السحابة ببطء نحو المنزل .. حاصرت

جدراته ، وغطت النافذة المضاعة ، وبدأت قمم الأشجار

كأنما تطل من محيط دخالي كثيف ..

- « اللعنة ! »

قالها (هولمز) وهو يضرب الصخر بقبضته ..

وأردف :

- « بعد نصف ساعة لن يبصر أحدنا يده .. يجب

أن ينصرف الآن ! »

- « فلنرتفع قليلاً كي نخرج من هذا الضباب .. »

- « نعم .. »

وبدأنا نصعد المرتفعات في ببطء .. حتى خرجنا

من السحابة الكثيفة .. لكن (هولمز) منعنا من أن

نصعد أكثر ..

وأصق أذنه على الأرض .. ثم تهلل وجهه وهتف :

- « حمداً لله .. شخص قادم ! »

وسمعنا صوت خطوات تدنو بسرعة ، فاتكمشنا

وسط الصخور نرمى الضباب .. وبعد هنيهة برز من

الضباب رأس سير (هنرى) .. وبدأت عليه الدهشة إذ

لم يتصور سرعة انتشار الضباب في القلعة ..

ومشى يخف السير في الطريق الممهّد قاصداً

قصره ، وكان يتلفت حوله في توجس يميناً ويساراً ..

هنا صاح (هولمز) وهو يخرج مسدسه :

- « إنه هو ! »

وسمعنا صوت خطوات وسط الضباب .. لكننا لم

ندر ما يتوقّعه (هولمز) .. ونظرت إلى وجهه لأرى

ما يبغيه ، فرأيتّه يشحب وتلتمع عيناه .. وفجأة

فتح شفطيه في ذهول .. وسمعت صرخة هلع من

(ليستراد) ..

وأمام عيني رأيت مشهداً مروعاً لا يصدق ، جعل

عقلي يشلّ تماماً ..

رأيت كلبنا أسود عملاقاً .. لكنه لا يمت لعالمنا

بصلة ..

النار تتبعث من فمه المفتوح .. واللهب يخرج من
عينيه ..

وضوء متألق يحيط بفمه وعينيه و عنقه كأنما جاء
من جهنم ..

لقد رأيت كابوسًا يخرج من الضباب ..

وكان يركض في خطوات واسعة نحو سير

(هنرى) ..

تجمدنا حيث نحن عاجزين عن اتخاذ قرار ..

وحين عدنا لرؤعا كان الكلب قد مرَّ من أمامنا

يركض تجاه ضحيته ..

عندها أطلقت و(هولمز) مسدسينا فى اللحظة

ذاتها ..

صرخ الوحش لكنه واصل ركضه للأمام .. ورأينا

سير (هنرى) يلتفت للوراء فيرى الهول القادم

نحوه ..

تسمر فى مكاته وبدا الرعب على وجهه الشاحب ..

ورفع يديه للسماء ..

أما نحن فقد أعلنتنا صرخة الكلب إلى عالمنا ..

إن المخلوق الذى يُجرح يمكن أن يقتل كذلك ..

كان (هولمز) يدعو عدو العظيم .. فسبقنى وسبق

(ليستراد) ..

ومن بعيد سمعنا صراخ سير (هنرى) وزمجرة

الكلب ..

كان الكلب جاثمًا فوق الرجل ، يحاول تمزيق عنقه

بأنيابه ..

لكن (هولمز) أفرغ الرصاص فى ظهر الكلب ..

فزار زارة مريعة .. ثم تخرج ساقطًا على ظهره ،

وأقدامه ترتجف فى الهواء .. وهمدت حركته ..

نوت من الكلب لاهتًا .. ولاصقت بمسدسى رأسه ..

لكنه كان قد مات ..

كان سير (هنرى) قد فقد وعيه ، فراح (هولمز)

يفك ربطة عنقه .. وحمدنا الله تعالى لأنه خال من

الجروح ..

سكب (ليستراد) فى فم الضحية بعض (البرادى) ،

ففتح عينيه ورمقنا فى هلح وهتف :

« رياه ! ما كان هذا ؟ »

« أيا كان فقد مات .. وانتهت أسطورة كلب

العائلة .. »

ورحنا نتفحص الجثة ..

كان كلبًا عملاقًا بادى الشراسة والوحشية .. وقد
توهج ضوء أخضر حول فكيه وعينه .. مددت
إصبعي ومسحت .. ثم تفحصته هاتفاً :

- « مادة فوسفورية ! »

قال (هولمز) :

- « حقًا .. وواضح أنها بلا رائحة مما يؤثر على

شم الكلب .. خالص اعتداری يا سير (هنرى) على

هذه التجربة المروعة .. لكننا كنا نأمل فى أن نقله

أسرع من هذا لولا الضباب .. »

- « إنك أنقذت حياتي .. »

- « نعم .. ونحمد الله على ذلك .. هل يمكنك

الوقوف ؟ »

تحامل سير (هنرى) على قدميه ، فوقف وهو

غاية فى الشحوب والوهن .. واستند إلى صخرة دافنا

وجهه بين يديه ..

قال (هولمز) :

- « سوف نتركك هاهنا فلم يعد ثمة خطر عليك ..

أما الآن فلا بد أن ننطلق لنقبض على المجرم .. »



كان الكلب جاثمًا فوق الرجل ، يحاول تمزيق عنقه بأنيابه ..

واتطلقنا نركض نحو منزل (ستبلتون) ..
قال (هولمز) ونحن نجرى :
- « من المحال أن نجده في المنزل .. لقد سمع
الطلقات حتمًا وعرف أن الفريسة أفلتت .. »
- « ربما لم يسمع .. »
- « لا .. لا بد أنه قد هرب .. لكن لا بد من تفتيش
المنزل .. »
كان باب المنزل مفتوحًا .. فدخلنا ورحنا نفتشه ..
لم تكن حجرة مضاعة سوى حجرة الطعام ..
ورحنا نبحث في كل حجرة فلم نجد أثرًا لـ (ستبلتون) ..
إلا أننا وجدنا غرفة موصدة في الطابق العلوى ..
قال (ليستراد) :
- « صوت حركة بالداخل .. ثمة إنسان هاهنا .. »
بالفعل كان هناك صوت أنين .. فركل (هولمز)
الباب بقدمه .. واتدفعنا إلى الداخل وقد صوب كل منا
مسدسه في اتجاه ..
رأينا مشهدًا عجيبًا ..
كانت الحجرة مملأ بالبرطمانات التي يحنط فيها
فراشاته النادرة .. وقد وضعت على الرفوف في كل
صوب ..

وفي وسط القاعة كان عمود خشبي يربط إليه جسد
مشدود .. وقد غطى حتى عسر علينا تمييز .. أرجل أم
أنثى ..
مزقنا الأغطية فإذا هي مدام (ستبلتون) .. وسقط
رأسها على صدرها إذ كان قد أغشى عليها ، فرأينا
على عنقها جزأ أحمر .. من أثر سوط ..
هتف (هولمز) :
- « تبأله من وحش ! أعطها جرعة من
(البراندى) يا (ليستراد) .. فقد عذبت الحيوان حتى
فقدت وعيها .. »
أخيرًا فتحت عينيها فهتفت :
- « هل نجا ؟ »
- « بل لن يقلت منا يا سيدتى .. »
- « لا أتحدث عن زوجى .. أتحدث عن سير
(هنرى) .. »
- « نعم نجا .. »
- « والكلب ؟ »
- « مات .. »
- « حمدًا لله ! »

وتنهدت وقالت :

- « لكم عذبنى (سبيلتون) وآذانى .. لكنى تحملت
كل هذا أملاً فى الظفر بمحبته .. »
وتهافت .. فقال (هولمز) :
- « إذن .. قولى لنا أين نجده .. لنعاقبه .. »
قالت :

- « يوجد مكان واحد .. هو منجم مهجور وسط
المستنقعات .. لقد كان يربى الكلب فيه .. وبه ملجأ
يختفى فيه .. إنه هناك .. »
دنا (هولمز) من النافذة فرأى الضباب بالخارج ..
قال :

- « من المستحيل أن نعبّر المستنقعات هذه لليلة .. »
ضحكت المرأة فى وحشية وقالت :
- « لن يستطيع أن يجد طريقه فى هذا الضباب ..
فهو يسترشد بعيداً خشبية تله على الطريق بدخلها .. »
تركنا (ليستراد) يحرس البيت .. وعدنا إلى سير
(هنرى) واصطحبناه إلى القصر لتنتهى هذه الليلة
الرهيبة ..

★ ★ ★

- ١٤ -

فى الصباح اصطحبنا مدام (سبيلتون) إلى المستنقعات ،
فأرشدتنا إلى المنطقة بين الأوحال .. وكانت متحمسة
إلى حد كبير ، فقد عذبها زوجها كثيراً ..
كان هناك طريق متعرج .. غرست على جانبيه
أعواد خشبية متباعدة تدل على الطريق الصحيح ..
بينما رائحة التعفن تزكم أنوفنا ..
وحين كانت قدم أحدنا تزل كان يشعر أن الأوحال
تجذبه إلى أعماقها بيد حديدية ..
ووجدنا آثار أقدام تدل على أن هناك من سبقنا
عبر هذا الطريق المرعب .. لكن الآثار اختفت بعد
قليل بسبب تقلب الأوحال ..
ويبدو واضحاً أن (سبيلتون) لم يستطع الوصول
إلى كهفه بين طبقات الضباب .. فلا بد أنه زل وسقط
فى مستنقعات (جريمين) الرهيبة ، فابتلعتة وخلصت
العالم منه ..

وفى أحد الأكواخ وجدنا سلسلة عملاقة وطوقاً
حديدياً وبعض العظام ، ففهمنا أن (ستبلتون) كان
يربى كلبه هنا ..

قال (هولمز) :

« هذا هو سرّ الصوت الذى كان يروع
الفلاحين .. فالكلب كان هائلاً يعوى .. لكن (ستبلتون)
كان يحمله إلى داره أحياناً حين ينوى الهجوم .. أما
هذه العتبة فأظنها تحوى المخلوط الفوسفورى إياه ،
الذى كان يطلى به الكلب ..

« لا غرابة فى أن كل من رأى الكلب يشع فى
الظلام راح يركض ذرعاً .. إلى حدّ أن سير (تشارلز)
أصيب بنوبة قلبية .. لقد كان تدبيراً جهنمياً حقاً ..
ونجح فى جعل الأسطورة رهيبة ملموسة .. »

★ ★ ★

وفى ليلة باردة من ليالى (نوفمبر) جلست
(هولمز) جوار المدفأة ، نتحدث عن هذه القضية
الرهيبية ..

قال (هولمز) :

« لقد أسفرت أبحاثى عن وجود قرابة قوية

لـ (ستبلتون) وآل (باسكرفيل) .. فالأخ الأصغر
(رودجر) الذى فرّ إلى أمريكا الجنوبية قد تزوج
هناك .. وأنجب طفلاً أسماه (رودجر) .. كبر الفتى
وتزوج فتاة تدعى (بيريل جارسيا) وهى حسناء
كوستاريكية .. ثم اختلس بعض المال وغير اسمه إلى
(فاتدلير) ، وفرّ إلى إنجلترا لينشئ مدرسة .. »

« بعد قليل تدهورت المدرسة وساعت سمعتها ..
لذا غير (فاتدلير) اسمه إلى (ستبلتون) وقصد جنوب
إنجلترا ، وكان شغوفاً بعلم الأحياء .. حتى صار حجة
فيه .. ويبدو أنهم أطلقوا اسمه على نوع من
الفراش .. »

« وعرف الفتى أن شخصين يحولان بينه وبين
امتلاك ضيعة كاملة .. فجاء إلى (ديفون شاير)
مصمماً على الخلاص منهما ، وأعلن أنه غير متزوج
وأن من معه هى شقيقته .. »

« ثم إنه بدأ يوثق معرفته بسير (تشارلز) ، ومنه
عرف كل شىء عن أسطورة الكلب الجهنمى الذى
يطارد الأميرة منذ قرون .. وبدأت الفكرة تختمر فى
ذهن (ستبلتون) .. »

« إن السير (تشارلز) يؤمن بالخرافات وقلبه واهن .. لذا اتجه (ستبلتون) إلى متجر (روس وماجلز) في (لندن) ، فابتاع كلبًا قويًا شرسًا .. ودخل به إلى المقاطعة .. ثم أخفاه في كوخ وسط المستنقعات وعلمه الافتراس ، وراح ينتظر فرصة ساحة يغادر فيها سير (تشارلز) القصر إلى الفلاة وحده .. »

« حاول (ستبلتون) أن يجعل زوجته تغرى سير (تشارلز) بالخروج .. لكنها أبت ذلك .. ولم يفلح للضرب في إقناعها .. »

« بدأ يوطد علاقته بالمسكينة (لورا ليونز) .. وأغراها بالزواج منها .. ثم جعلها تكتب تلك الرسالة إلى سير (تشارلز) تطلب لقاءه تلك الليلة .. ثم أقتعها بعدم الذهاب .. »

« وفي المساء أعدّ هو الكلب ، وطلاه بالمادة الفوسفورية .. ثم ساعده على الوثب إلى الممر الذي كان سير (تشارلز) فيه .. أصيب الرجل بالهلع وراح يجرى صارخًا مبتعدًا عن القصر .. وتكفل الرعب ووهن القلب بقتله .. وكان الكلب يجرى على العشب

فلم يترك آثار أقدام واضحة .. إلا حين دنا من الجثة ليتشممها .. »

« كانت زوجة (ستبلتون) تتوقع خطته الشريرة لكنها لم تعرفها صراحة .. أما (لورا ليونز) فلم تشك في شيء إلا بعد ما حدثت الوفاة .. »

« بعد هذا جاء دور سير (هنرى) .. »
« لقد اكتشف (ستبلتون) أن هناك وريثًا آخر .. لهذا سافر إلى (لندن) ، ووضع على وجهه حية مستعارة وراح يراقب د. (مورتيمر) .. »

« لكن زوجة (ستبلتون) أرادت إقذار سير (هنرى) .. لذا كانت هي صاحبة الرسالة ذات الحروف الملصقة التي قرأناها .. »

« وفي هذا الوقت تمكن (ستبلتون) من سرقة حذاء سير (هنرى) من الفندق ، ولما وجده جنيذًا لم يلبس اضطر إلى سرقة حذاء آخر .. كان بحاجة إلى أثر يشمه الكلب .. »

سألته :

- « ثمة نقطة تحيرنى : لو أن (ستبلتون) تمكن من قتل سير (هنرى) ، فكيف كان سيفسر إقامته

باسم مستعار قرب القصر ؟ إن هذا يزيد من الريبة
حوله .. »

- « هذا سؤال عسير يا (واطسون) .. لكن مدام
(ستبلتون) ترجح أنه كان سيعود إلى أمريكا الجنوبية ،
حيث يتوجه إلى القنصلية البريطانية ويعلن استحقاقه
للميراث .. وربما كان سيعود إلى (لندن) ليتنكر
ويخفى وجود (ستبلتون) تماماً .. ثم يطالب بإرثه .. »
« والآن يا (واطسون) صار من حقتنا أن ننعم
بالراحة ، بعد شهر من البحث في هذه القضية الغامضة
الشاقة .. »

آرثر كونان دويل

★ ★ ★

www.liilas.com/vb3

رياحين

٢٥٥٧

رقم الإبداع : ١٧٧-١٦٣-٣٩٤-٥